التأثير النفسي للقرآن الكريم
"رُوحانية القرآن" بين الإنصاف والإجحاف

إعداد

د. جابر منصور علي أبو الحمد

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا – جامعة الأزهر

التأثير النفسي للقرآن الكريم "رُوحانية القرآن" بين الإنصاف والإجحاف

جابر منصور علي أبو الحمد

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا، جامعة الأزهر، محافظة قنا، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: GaberAbuElHamd.4119@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

استهدف البحث بيان ما للقرآن الكريم من تفرد في بيانه، وخصوصية لا تتوفر في غيره، كما استهدف إظهار لون من ألوان الإعجاز قد لا يكون قد أخذ حقه من الشهرة والذيوع مثل غيره، فعمدت إلى جمع ما تناثر في بطون الكتب مما يخص هذا الموضوع للاستفادة منها، مستنبطا الآراء من خلال أقوال العلماء، ثم أخضعت ما تم رصده الى التحليل لاستخلاص مادة البحث، وكان من أهم نتائج هذا البحث بيان اتفاق جميع العلماء العدول على وجود التأثير النفسي للقرآن الكريم، وأنه باق إلى قيام الساعة دون التقيد بزمان أو مكان أو لغة، مما يدل على أن القرآن ليس من عند بشر، مما يضع البشرية أمام الحقيقة وجها لوجه، فإما إيمان وإما جحود، مثبتا أنه لن يقر بهذا الأثر إلا كل متجرد للحق، خال عن التعصب، مظهرًا التناغم الواضح والانسجام التام بين لفظ القرآن ومعناه مما يدلل على أنهما من عند الله -عَزَّوَجَلَّ-، وأنه سر من أسراره في كتابه، مبينا رأي الحداثيين في رفض كل ذلك، معقبا بالرد والتفنيد، فكم من بشر تغير مسار حياته، مما يثبت استيعاب القرآن جميع القلوب والعقول في جميع المستويات كل على قدر حاجته، ويثبت دور الجانب الروحي والنفسي في حل مشكلات الفرد والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: التأثير، النفسي، روحانية، الإنصاف، الإجحاف.

The psychological influence of the Holy Qur'an, "The spirituality of the Qur'an" between justice and injustice.

Jaber Mansour Ali Abu Al-Hamad

Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys in Qena, Al-Azhar University, Qena Governorate, Arab Republic of Egypt.

Email: GaberAbuElHamd.4119@azhar.edu.eg

Abstract:

The research aimed to clarify the uniqueness of the Holy Qur'an in its statement and a specificity that is not available in others. It also aimed at showing a type of miraculouness that may not take its right of fame and spreading like others so I insisted on collecting what was scattered in the contents of books that is related to this topic to get benefits from it eliciting opinions through the sayings of scholars. Then I subjected what was monitored to analysis to extract the research material and one of the most important results of this research was a statement of the agreement of all scholars on the existence of the psychological effect of the Holy Qur'an and that it remains until the end of the Hour (the day of reckoning) without being restricted to a time, place or language what indicates that the Qur'an is not from human beings, what puts mankind before the truth face to face, either faith or denial, proving that no one will acknowledge this effect except every devout to the truth, devoid of fanaticism, demonstrating the clear concord and complete harmony between the wording of the Qur'an and its meaning, therefore they prove that are from God, and that it is one of His secrets in His book, showing the opinion of the modernists in rejecting all of that, commenting on the response and refutation as a lot of humans had their lives changed, what proves the capacity of the Qur'an to all hearts and minds in all levels, each according to his need and it proves the spiritual and psychological side in solving the problems of the individual and society.

Keywords: influence, psychological, spirituality, justice, injustice.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه نورا وضياء، وهدى وشفاء، وإماما للمتقين، والصلاة والسلام على صاحب أقوم لسان، وأوفى بيان أثلج صدور أهل العلم والإيمان، فكان حجة على أهل الزيغ والطغيان، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه واقتفى أثره بإحسان إلى يوم الدين، ثم أما بعد، فلقد أنزل الله كتابه دليلا على صدق نبيه، حاملا في طياته الدليل على أنه كلامه -عَزَّوَجَلَّ-، ليس من كلام أحد، بل ليس لأحد عليه سبيلا، حتى ولو كان أحب خلقه إليه، فقد أودع فيه من الحكم والأسرار والمقاصد التي عرفتها الأرواح قبل الأبدان، مستوعبا بيان العيي والذكي كل على قدر عقله، ما يثبت يقينا على أنه كلامه -سُبْحَانَهُوَتَعَالَى-، وجعل في إعجازه منعة عن تجني كل معتد، وشرح به صدور قوم مؤمنين.

ولقد كان عطاء القرآن وفيضه مبذولا للجميع، وكان الحديث عن إعجازه من أحسن الأبواب وأهمها، بل من أكثرها أهمية، لذا تعددت المدارس والاتجاهات في دراسته، وظهرت الكتب والدراسات في فهمه ودراسته، وتعليله، ووجوهه، الغيبي، التشريعي، التاريخي، العلمي... الخ، حتى اختلف العلماء في ذلك، ولم يكتف المعاصرون بما ذكره المتقدمون، بل أضافوا ما فتح الله به عليهم مما جعل الحديث عنه متصلا غير منقطع. ولقد أحصى بعض الباحثين أنه قد دخل في الإحصاء ما يزيد عن ألفين وثمانمائة مادة مكتوبة في ميدان الإعجاز ما بين مقالة ورسالة علمية وكتاب منشور متداول وورقة مؤتمر[١]. هذا ضمن حديثه عن المستوى الفردي بخلاف المستوى الجماعي.

وأقول: هذا ما أحصاه الباحث ووصل إليه وقت كتابته بحثه هذا، فالأمر الآن

---

(١) الجهود المبذولة في دراسة الاعجاز قديما وحديثا " دراسة إحصائية ونظرة تقويمية " ص ٢ بحث مقدم لمؤتمر الاعجاز القرآني بجامعة الزرقاء الأهلية ١٤٢٦-٢٠٠٥ م، د. محمد عبد الله الجيوسي، قسم أصول الدين، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك.

أكثر بكثير وبخاصة بعد هذا التوسع التقني ومواقع التواصل. ولقد كان من الأقوال التي اجتمع أهل العلم عليه والباحثون في هذا الأمر القول بالإعجاز البياني، فالقرآن معجز ببلاغته وأسلوبه وبيانه وتعبيره، وأنه بهذا يقدم شهادة عظيمة على مسألة إثبات أن القرآن كلام الله -عَزَّوَجَلَّ-.[١] لكن إذا كان هذا الوجه المجمع عليه لا يرقي لليقين به إلا من عرف علته، وتعلم العلوم التي توصله إلى الجزم واليقين به، ألا يعد من البيان هذا التأثير الذي نعرفه جميعا مما يسيطر على القلب والعقل ويأسر الروح، وقد أقر به أكابر علماء هذا الفن ومن تبحروا في دراسة الإعجاز القرآن كما سنعرض؟ هل العامي وغير المتخصص – وخاصة بعد هذا الضعف في الذوق العربي لغويا وبلاغيا - وقف عن الاحساس بهذا الوجه إلا من خلال قراءة كتب العلماء المتخصصين؟ هل ما نراه من التأثر به حتى لبعض غير المسلم أحيانا يعد من باب الوهم أم من باب الحقيقة؟ أم هو من إعجاز القرآن؟ لذا أحببت متوكلا على الله أن أتناول هذا الأمر من خلال بحثي هذا مسميا إياه:

التأثير النفسي للقرآن الكريم "رُوحانية القرآن" بين الإنصاف والإجحاف

ولا يفوتني أن أذكر أنه لابد وأن يوجد في هذا العمل بعض النقص والهفوات التي قد يسبق إليها القلم، أو يذهل عنها الفكر، أو يخطئ الشخص في الحكم عليها، ولا كمال إلا لله وحده. والله أسأل أن يعينني على ذلك، وإني أعوذ به سبحانه من تكلف لا يجني صاحبه من ورائه إلا الذلل.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع أن يأتي في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على خطة البحث. - أسباب اختيار الموضوع. - الهدف منه - منهج البحث - الدراسات التي سبقته.

---

(١) إعجاز القرآن البياني للخالدي ص ٥ وما بعدها، ط: دار عمان بالأردن، بدون، الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم د / خالد محمد القضاة، وهو بحث مقدم إلى مؤتمر كلية الشريعة السابع " إعجاز القران الكريم ١٤٢٦-٢٠٠٥، جامعة الزرقاء الأهلية.

المبحث الأول: التأثير النفسي للقرآن الكريم وأسراره، وقد اشتمل على تمهيد وستة مطالب:

التمهيد: فيه بيان مفردات العنوان: التأثير النفسي للقرآن الكريم "رُوحانية القرآن" بين الإنصاف والإجحاف، ولم كانت التسمية بذلك.

المطلب الأول: القرآن والنفس البشرية.

المطلب الثاني: التأثير النفسي والإعجاز.

المطلب الثالث: البحث عن سر التأثير النفسي للقرآن الكريم.

المطلب الرابع: فوائد التأثير النفسي للقرآن.

المطلب الخامس: أسباب ضعف التأثر عند البعض أو عدمه.

المطلب السادس: عوامل تزيد من الأثر النفسي للقرآن الكريم.

المبحث الثاني: مظاهر التأثير النفسي للقرآن الكريم بين النفي والإثبات، وقد اشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: العلمانيون والحداثيون وروحانية القرآن الكريم.

المطلب الثاني: بعض صور التأثير النفسي وروحانية القرآن على البشر.

ثم بعد ذلك الخاتمة وتشتمل على أهم نتائج البحث، وأهم الاقتراحات، ثم ثبت المراجع.

أسباب اختيار الموضوع:

- حاجة المكتبة القرآنية إلى الحديث في مثل هذا النوع.
- اليقين بوجود نتائج تستخدم في الدعوة إلى الله وإلى كتابه، وتساهم في التربية الإسلامية، وذلك لما له من تأثير في هذا المجال لمخاطبته الإحساس والوجدان.
- الرغبة في إظهار لون من ألوان الإعجاز قد لا يكون قد أخذ حقه من الشهرة والذيوع مثل الأنواع الأخرى.

- الحاجة إلى جمع ما تناثر من نقاط هذا الموضوع في مكان واحد، بدلا من تناثرها كسطور في بطون الكتب وجمع شتاتها للاستفادة منها.

الهدف من الموضوع:

- بيان ما لهذا الكتاب الكريم من تفرد في بيانه، وما له من خصوصية لا تتوفر في غيره، ولا ينكرها إلا من أساء الأدب، فسوى بينه وبين نصوص أخرى محتجا – حسب زعمه - بمصطلحات حديثة تتعلق بالكاتب أو القارئ وما ابتلينا به من مصطلحات حداثية ونحو ذلك.
- بيان ما لهذا البيان القرآني من قوة في التأثير، حتى ولو كان المتلقي ضعيفا بعض الشيء في معرفة القواعد اللغوية والبلاغية، أو غير عربي أحيانا.

منهج البحث:

سيكون منهجي في هذا البحث استنباطيا تحليليا، استنبط الآراء من خلال أقوال العلماء، وتحليليا بإخضاع ما تم رصده الى التحليل لاستخلاص الملاحظة الواردة عبر النصوص.

الدراسات السابقة في هذا الموضوع:

من المعلوم أن الكتب القديمة قد تناول كتّابها فكرة الموضوع – كما سنذكر في البحث- مثل الخطابي والباقلاني وغيرهم، وهناك من تناولها أيضا من المحدثين عبر كتاباتهم مثل الرافعي والخولي ودراز وغيرهم، أما عن نقطة البحث بعينها فهناك من كتب في هذا الأمر، وذلك سيظهر من هوامش البحث لكني سأتناوله من ناحية تأثير القرآن على النفس البشرية، وهل هو نوع مستقل من أنواع الإعجاز أم ناتج عن الإعجاز البياني، وسر هذا التأثير وكيف كان استيعاب القرآن لجميع المعاني والمشاعر وكيفية الاستفادة من هذا التأثير، مما يظهر التفاعل الحقيقي للقرآن مع المجتمعات على اختلاف لغاتها ومشاربها، وكيف نقوي هذا التأثير إلى غير ذلك من نقاط البحث، ثم رصد لموقف الحداثيين من قداسة القرآن وتأثيره، ثم إلقاء الضوء على بعض صور التأثير النفسي للقرآن الكريم.

ومن أهم هذه المؤلفات التي سبقت على سبيل المثال لا الحصر:

- **التعبير القرآني والدلالة النفسية**، د/ محمد عبد الله الجيوسي، ط: دار الغوثاني للدراسات القرآنية بدمشق، ط: الأولى ١٤٢٦ -٢٠٠٦ م. عمل فيه من ناحية تحليل الدلالات النفسية التي حملها القرآن في نظمه وإيقاعه، لكنه لم يتعرض لكون هذا اللون من الإعجاز أم لا، وهل هو مستقل بذاته أم لا، إلا في أسطر معدودة لا تفي بالمقام.

- **الإعجاز النفسي في القرآن الكريم (دراسة تأصيلية)**، إعداد: عبد الله علي عبد الرحمن أبو السعود قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير كلية الدراسات العليا الجامعة الاردنية ٢٠٠٥ م، تحدثت عن النفس وصفاتها في القرآن، شهوتها، لومها، رحمتها، وعن العيوب النفسية مثل الحقد والحسد وغيرهما، وطريقة علاج ذلك من خلال القرآن الكريم.

- **الأثر النفسي للقرآن الكريم دراسة وتحليل**، د/ خليفة حسين العسال، الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الشريعة والقانون والدراسات الاسلامية بجامعة قطر، وهو بحث في الثقافة الإسلامية، تناول فيه الحديث عن الاعجاز النفسي للقرآن الكريم مقارنا بين تأثير القرآن وتأثير التوراة، ثم بعض صور التأثير في الجماد والجن والانس.

- **الإعجاز التأثيري في القرآن**، عصام العبد زهد، وهو بحث في كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الحادي عشر العدد الثاني من ص ٨٤ إلى ١٤٧ ٢٠٠٣ م، وقد تناول فيه التعريف بالمعجزة، وأنواع معجزات النبي، ثم تأثير القرآن في الإنس والجن.

ومع كل ذلك فلا يزال الموضع في حاجة إلى البحث لجمع ما تناثر من أقوال وجمع محتوياته، والاستفادة منه في الواقع.

المبحث الأول
التأثير النفسي للقرآن الكريم وأسراره

تمهيد:

لابد قبل الشروع في البحث أن نتعرف على مفردات العنوان:" التأثير النفسي للقرآن الكريم "رُوحانية القرآن" بين الإنصاف والإجحاف، ولم كانت التسمية بذلك:

لقد جعل الله من الذرات حياة نابضة، تنطوي على السر الإلهي المعجز، سر الحياة، ذلك السر الذي لا يعرفه أحد، وهكذا القرآن، فنتحدث كثيرا ونسمع من الكلام أكثر، أما إذا قرأنا القرآن أو سمعناه، فالفرق بين كلام البشر وكلام الله من هذه الحروف والكلمات، هو الفرق ما بين الجسد والروح، هو الفرق ما بين صورة الحياة وحقيقتها. وحتى نعلم ما المراد من موضوعنا كما تعلمنا لابد وأن نعرف أولا معنى كل كلمة في عنوان البحث على حدة، ثم نعرف ما المراد بهذا العنوان جملة، وهذه الكلمات: القرآن الكريم، التأثير، النفسي، الروحانية، الإنصاف، الإجحاف.

القرآن الكريم-جل من أنزله-: كلام الله المعجز المنزل على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته.[(١)] وقد اخترت هذا التعريف على ما فيه من إطناب لما يقتضي المقام ذلك.

التأثير: تفعيل من الأثر، والأثر: له ثلاثة معانٍ: الأول بمعنى: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الجزء. قال الراغب: أَثَرُ الشيء: حصول ما يدلّ على وجوده، وجمعه آثار، قال الله -عَزَّوَجَلَّ-: "**ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا**" [الحديد من الآية:٢٧]، "**وَءَاثَارا فِي ٱلْأَرْضِ**" [غافر من الآية:٢١]، ومن هذا يقال للطريق المستدل به على من تقدّم: آثار، نحو قوله -عَزَّوَجَلَّ-: "**فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ**" [الصافات من الآية:٧٠].[(٢)] إذا فالتأثير في اللغة تفعيل مأخوذ من الأثر والنتيجة

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧ هـ) ج١ ص ١٩، ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط: الثالثة، بدون.

(٢) المفردات في غريب القرآن مادة " أ ثَ رَ ".

والمحصلة الدالة على وجود مؤثر حيا كما في قولهم: أثرت البعير، أم معنويا كما في قوله: "فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ" [الروم من الآية:٥٠]، فالآثار هي اللوازم المعللة بالشيء، أو جملة الأمور التي تنتج عن الشيء المسبب لها.(١)

أقول: المراد هنا التأثير في الشيء: أن يترك فيه أثرا، قال الزركشي: وَأَمَّا الْكَلَامُ فَمُشْتَقٌّ مِنَ التَّأْثِيرِ يُقَالُ كَلَمَهُ إِذَا أَثَّرَ فِيهِ بِالْجَرْحِ فَسُمِّيَ الْكَلَامُ كَلَامًا لِأَنَّهُ يُؤَثِّرُ فِي ذِهْنِ السَّامِعِ فَائِدَةً لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ". (٢) فهنا يراد به: ما ظهر أثره على النفس ونتج سواء من سماع القرآن أو قراءته أو مناقشته قضية تخصه.

النفسي: نسبة إلى النفس: قال ابن منظور: النَّفْس: الرُّوحُ، والنَّفْس فِي كَلَامِ الْعَرَبِ يَجْرِي عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحدهما قَوْلُكَ خَرَجَتْ نَفْس فُلَانٍ أَي رُوحُه، وَفِي نَفْس فُلَانٍ أَن يَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا أَي فِي رُوعِه، والضَّرْب الْآخَرُ مَعْنى النَّفْس فِيهِ مَعْنى جُمْلَةِ الشَّيْءِ وَحَقِيقَتِهِ، تَقُولُ: قتَل فلانٌ نَفْسَه وأَهلك نَفْسَه أَي أَوْقَعَ الإِهْلاك بِذَاتِهِ كلِّها وحقيقتِه.(٣)

وإذا نظرنا نجد كلا المعنيين يرجع إلى ذات الإنسان، إذ هي مكونة من جسد وروح، ولو أهلك نفسه بالمعنى الآخر لا يكون إلا بإزهاق الروح. يقول أبو حامد الغزالي: النفس مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان، أحدهما: أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان، وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها. المعنى الثاني: الإنسان بالحقيقة أي نفس الإنسان وذاته، وهي توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فإذا سكنت تحت الأمر وعارضت

---

(١) التعريفات ج١ ص ٩، للجرجاني (ت: ٨١٦ هـ)، ط: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣م، الإعجاز التأثيري، د: خالد محمد القضاة ص ٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن ج١ ص ٢٧٩، للزركشي (ت: ٧٩٤ هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الاعجاز التأثيري في القران ص٣٦٥، د/ زياد عواد أبو حماد – كلية الشريعة قسم أصول الدين، جامعة مؤتة بالأردن، وهو بحث منشور بمجلة دمشق المجلد الثامن عشر العدد الأول ٢٠٠٢.

(٣) لسان العرب مادة " نَ فَ سَ".

الشهوات سميت النفس المطمئنة، قال الله -عَزَّوَجَلَّ- في مثلها" **يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ**" والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- فإنها مبعدة عن الله، وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه، قال الله -عَزَّوَجَلَّ- "**وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ**" وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء، وقد يجوز أن يقال المراد بالأمارة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فإذن النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله -عَزَّوَجَلَّ- وسائر المعلومات ".[١] أما النفس في القرآن فتطلق على الذات بجملتها كقوله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- " **فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ**" [النور:٦١] وقوله " **يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفس تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا** " [النحل: ١١١] وتطلق على الروح وحدها " **يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي**" [الفجر:٢٧: ٣٠].[٢]

وإذا نظرنا لأقوال السادة العلماء نجد أن المناسب لموضوع البحث أن النفس هي ذات الإنسان، ويؤيده أن النفس في القرآن جاءت بمعنى الذات المكونة من جسد وروح.

الروحانية: نسبة إلى الروح وقد سبق الحديث عن طرف منها، قال أبو حامد الغزالي: الروح يطلق لمعنيين: أحدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة على أعضائه يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به، وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه، والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى. المعنى الثاني: هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان، وهو الذي أراده الله -عَزَّوَجَلَّ- بقوله قل الروح من أمر ربي وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول

(١) إحياء علوم الدين ج٣ ص ٤ بتصرف، لأبي حامد الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ)، ط: دار المعرفة – بيروت، بدون.

(٢) الاعجاز التأثيري في القران د/ زياد عواد ص ٣٦٣.

والأفهام عن درك حقيقته. [١] وعلى كل فالمراد هو هذا السر الذي يتحرك الإنسان بحركته وإلا فلا حركة أصلا. وهنا يتضح ما ذكره ابن القيم بقوله: "هَل النَّفس وَالروح شَيْء وَاحِد أَو شَيْئَانِ متغايران، قال الْجُمْهُور أَن مسماهما وَاحِد".[٢] وهو ما قصدت في بحثي هذا وبنيته عليه من أنهما بمعنى واحد.

وتخصيص النفس بالإعجاز راجع إلى أن النفس هي الانسان بالحقيقة، ومحل المعقولات، والتفكير والتمييز والروية.[٣]

هذا بالنسبة لبني البشر، وقد قصدت بروحانية القرآن هنا: هذا الأثر الإلهي الذي يسيطر على أفكار الإنسان ومشاعره، وميوله ورغباته، فهو سر من أسرار الله -عَزَّوَجَلَّ-، لا نعرف حقيقته ولكن نرى أثره على النفس البشرية.

وخصصت القول هنا بروحانية القرآن ولم أستطع أن أقول نفسانيته، أو نفس القرآن قياسا على ذلك؛ لما نص القرآن نفسه من وصفه بالروح، ولما جاء من تجليات أهل العلم، في تأثير القرآن بهذه الروح، فكأن روحا تؤثر في روح، فقلت: روحانية القرآن، والتأثير النفسي.

أما الآيات التي ذكرت فيها الروح بمعنى القرآن فقد وردت عدة آيات بهذا المعنى، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: "**أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ**" [النحل:١، ٢] فالروح الوحي أو القرآن لأنه من جملته، وهدي الشريعة فإنه يحيي به القلوب الميتة بالجهل، ويحيي قلوب المؤمنين، وهو نازل من الدين منزلة الروح من الجسد، وقال -عَزَّوَجَلَّ-:"**رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ**" [غافر:١٥] فبه تحيا الابدان، قال -عَزَّوَجَلَّ-"**وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**" [الشورى:٥٢]. فهنا

(١) إحياء علوم الدين ج٣ ص٣،٤ بتصرف.

(٢) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ) ص ٢١٧ بتصرف، دار الكتب العلمية بيروت، بدون.

(٣) الرسالة اللدنية لأبي حامد الغزالي ص ٨، ط: مطبعة كردستان العلمية بالقاهرة، ١٣٢٨.

أخبر -عَزَّوَجَلَّ- أن كتابه الذي أنزل على رسوله متضمن للأمرين؛ فهو روح تحيا به القلوب ونور تستضيء به "**أَوَ مَن كَانَ مَيْتا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورا يَمشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنهَا**" [الأنعام:١٢٢]. (١) وسمي القرآن روحا تشبيها بالروح التي أجراها الله بالأجساد بعد أن كانت طينا، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: "**ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ**" [السجدة:٧: ٩]، فبروح من الله أصبح هذا الطين يعي ما حوله سمعا وإبصارا وتفكيرا، ولولا ذلك لبقي طينة لا قيمة له، وبروح القرآن أبصر الإنسان طريقه المستقيم، وإلا لبقي في ظلمة وضلال. فسمي روحا؛ لما يحصل به من الحياة النافعة فإن الحياة بدونه لا تنفع صاحبها البتة بل حياة الحيوان البهيم خير منها وأسلم عاقبة. (٢)

التأثير: تفعيل من الأثر، والتأثير في الشيء: أن يترك فيه أثرا، والأثر: له ثلاثة معانٍ: الأول بمعنى: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الجزء. قال الراغب: أَثَرُ الشيء: حصول ما يدلّ على وجوده، وجمعه آثار، قال الله -عَزَّوَجَلَّ-:"**ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا**" [الحديد من الآية:٢٧]، "**وَءَاثَارُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ**" [غافر من الآية:٢١]، ومن هذا يقال للطريق المستدل به على من تقدّم: آثار، نحو قوله -عَزَّوَجَلَّ-: "**فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ**" [الصافات من الآية:٧٠]. (٣) إذا فالتأثير: تفعيل من الأثر، فهو النتيجة والمحصلة الدالة على وجود مؤثر حيا كقولهم: أثرت البعير، أم معنويا كقوله -

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت: ٦٧١ هـ) ج ١٠ ص ٦٧ بتصرف، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ت٦٨٥ هـ، ج ٣ ص ٢١٩ بتصرف، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ط: الأولى - ١٤١٨ هـ. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ج ١ ص ٢١ بتصرف، ت: محمد حامد الفقي، ط: مكتبة المعارف، الرياض، بدون. الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (ت: ٨٧٥ هـ) ج ٥ ص ١٧٠ بتصرف، ت: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى - ١٤١٨ هـ

(٢) الاعجاز التأثيري في القران د/ زياد عواد أبو حماد ص٣٦١، ٣٦٢ بتصرف.

(٣) المفردات في غريب القرآن مادة " أ ثَ رَ ".

عَزَّوَجَلَّ-: "فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ" [الروم من الآية:٥٠]. فالآثار هي اللوازم المعللة بالشيء، أو جملة الأمور التي تنتج عن الشيء المسبب لها. (١) ولما كان الأمر مرتبطا بالكلام قال الزركشي: وَأَمَّا الْكَلَامُ فَمُشْتَقٌّ مِنَ التَّأْثِيرِ يُقَالُ كَلَمَهُ إِذَا أَثَّرَ فِيهِ بِالْجَرْحِ فَسُمِّيَ الْكَلَامُ كَلَامًا لِأَنَّهُ يُؤَثِّرُ فِي ذِهْنِ السَّامِعِ فَائِدَةً لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ".(٢) فهنا يراد به: ما ظهر أثره على النفس ونتج سواء من سماع القرآن أو قراءته أو مناقشته قضية تخصه.

فالمقصود إذا من هذا المركب الإضافي: "روحانية القرآن"، أو التأثير النفسي للقرآن الكريم هو: تأثير القرآن في النفس الإنسانية ظاهرا أو باطنا، وتفاعلها معه مما لا تستطيع مقاومته عندما تسمعه أو تقرأه حتى لو كانت نفسا كافرة. (٣) ويقصد بالأثر هنا: كل استجابة نفسية ظهرت أو فُهمت من التركيب القرآني، سواء كانت هذه الاستجابة إرادية أم غير إرادية (٤). ولقد سماه البعض الإعجاز التأثيري، وسماه آخرون بالإعجاز النفسي، والبعض الآخر الإعجاز الروحي، والبعض وصفه بالقلبي، وإن كانت في ظاهرها مختلفة إلا أن المراد واحد، فمن نظر إلى تأثيره على النفس وهيبته على القارئ والسامع وصفه بالنفسي، ومن نظر إلى روحانيته العالية التي قلبت شكل العالم سماه بالروحي، ومن نظر إلى أثره على قلوب أعدائه وأوليائه سماه بالقلبي. وممن وصفه بأنه معجز بأثره في القلوب والنفوس الخطابي والقاضي عياض والباقلاني والزركشي

(١) التعريفات ج١ ص ٩، للجرجاني (ت: ٨١٦ هـ)، ط: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣م، الإعجاز التأثيري، د: خالد محمد القضاة ص ٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت: ٧٩٤ هـ) ج١ ص ٢٧٩، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى، ١٣٧٦ هـ-١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الاعجاز التأثيري في القران ص٣٦٥، د/ زياد عواد أبو حماد – كلية الشريعة قسم أصول الدين، جامعة مؤتة بالأردن، وهو بحث منشور بمجلة دمشق المجلد الثامن عشر العدد الأول ٢٠٠٢.

(٣) مأخوذ من تعريفات عدة عند كل من البيان في إعجاز القرآن ص ٣٤٤، د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، الإعجاز التأثيري، د: خالد محمد القضاة ص ٨ .

(٤) التعبير القرآني والدلالة النفسية ص ٤٣ بتصرف، د/ محمد عبد الله الجيوسي، ط: دار الغوثاني للدراسات القرآنية بدمشق، ط: الأولى ١٤٢٦ -٢٠٠٦ م.

والزرقاني، أما الأوصاف الأخرى فهي مشهورة عند المعاصرين. [١] ولم يفرق بين الإعجاز النفسي والروحي إلا الدكتور فضل حسن عباس في حديثه عن هذا الأمر وأراد بالإعجاز النفسي تصوير القرآن وإبداعه في تصويره صورة محكمة دقيقة للنفس وأحوالها، أما الإعجاز الروحي فهو التأثير العظيم للقرآن على النفوس هيبة وحلاوة رغبة ورهبة، ولا يعرف كتاب في الدنيا كلها له من الأثر على تاليه، ومستمعه كما لهذا القرآن. [٢]

إذا هناك مؤثر ومتأثر، فالمؤثر هو القرآن بروحانيته وما لها من أسرار، والمتأثر هو الإنسان نفسا وقلبا، فالروح القرآنية ليست مجرد الكلمات المكتوبة في المصحف والتي تُقرأ، وإنما الروحانية التي تتجلى من خلال هذه الكلمات والآيات القرآنية، التي هي أبواب هذه الروحانية، فإذا القارئ لم يتجاوز بقراءته هذه الكلمات لا يمكن أن يكون لها أثر في حياته ولا وجوده. فنلاحظ مما سبق أن العلماء يتكلمون عن شيء واحد وهو الأثر الذي يتركه القرآن الكريم في سامعه، فمن عبر بالروح قصد الروحانية العالية فيه والتي تدخل في سامعه من دون استئذان فتحيله إلى شيء آخر، ومن سماه النفسي والقلبي قصد التحول العجيب للنفسية الانسانية بعد سماع القرآن الكريم. يتبين لنا من كل ما سبق أن روحانية القرآن مؤثرة وأن النفس والقلب متأثران.

الإنصاف: الإِنْصَاف والنَّصَفُ والنَّصَفَةُ: إِعْطَاءُ الْحَقِّ، وَقَدِ انْتَصَفَ مِنْهُ، وأَنْصَفَ الرجلُ صَاحِبَهُ إِنْصَافاً، وَقَدْ أَعطاه النَّصَفَةَ. وأَنْصَفَ إِذَا أَخذ الْحَقَّ وأَعطى الْحَقَّ. والنَّصَفَة: اسْمُ الإِنْصَاف، وَتَفْسِيرُهُ أَن تُعْطِيَهُ مِنْ نَفْسِكَ النَّصَف أَي تُعْطيه مِنَ الْحَقِّ كَالَّذِي تَسْتَحِقُّ لِنَفْسِكَ. وَيُقَالُ: انْتَصَفْتُ مِنْ فُلَانٍ أَخذْت حَقِّي كَامَلًا حَتَّى صِرْتُ أَنا وَهُوَ عَلَى النَّصَف سَواءً. [٣] فالإنصاف: في المعاملة العدل بأن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا مثل ما يعطيه ولا ينيله من المضار إلا كما ينيله، وقيل هو استيفاء الحقوق لأربابها واستخراجها بالأيدي العادلة والسياسات الفاضلة، وهو والعدل توئمان نتيجتهما علو

(١) الاعجاز التأثيري في القران، د/ زياد عواد أبو حماد ص ٣٥٨: ٣٦٠ بتصرف.
(٢) إعجاز القرآن ص ٣٤٣، د/ فضل حسن عباس، سناء فضل عباس ١٩٩١.
(٣) لسان العرب مادة " نَ صَ فَ "

الهمة وبراءة الذمة باكتساب الفضائل واجتناب الرذائل.[١]

أقول: فالإنصاف هنا طبقا لذلك هو وضع الأمر في نصابه وفي مكانه الصحيح الذي يليق به دون زيادة أو نقص.

الإجحاف: الإذهاب والتنقيص[٢]، وأَجْحفَ بالأَمْرِ: قارَبَ الإِخْلالَ بِهِ[٣]، الإجحاف: النقص الفاحش مستعار من قولهم أجحف بعبده كلفه ما لا يطيقه[٤]،أجحف بخصمه: اشتدّ في الإضرار به [٥].

أقول: إن لم يستطع أهل الكفر قديما أن يجحدوا ما للقرآن من تأثير وحلاوة، فقد برز من أبناء جلدتنا من يدين بديننا، ويتكلم بلساننا، ومن المفترض أنهم أعلم بالقرآن من غيرهم ممن ليسوا أصحاب لسان عربي مثلهم، أو نشأوا على هذا الدين، لكنهم رضوا أن يكونوا سهام غدر تصوب للقرآن الكريم، فالجرح منهم أعمق والمكر منهم أخبث.

ولذا كان العمل في هذا البحث على إظهار تأثير القرآن الكريم، وفضل ذلك في هداية النفوس، وإلى أي حد أهميته.

المطلب الأول

القرآن والنفس البشرية

لقد تحدث القرآن عن روعة تركيب الإنسان، ودعانا إلى التفكر في ذلك "**أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗى وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ** " [الروم: ٨]، والنظر في هذه البنية الجسدية "**ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ**

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٦٥.

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ص ٥٨، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، ت: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون.

(٣) لسان العرب مادة " جَ حَ فَ "

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٣٩، لعبد الرؤوف المناوي (ت: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب بالقاهرة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة مادة " جَ حَ فَ "

كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ" [السجدة:٧، ٨]، وكيف أنشأ لها ما يحافظ على هذه البنية المادية "أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ" [السجدة:٢٧]، فهي في حاجة إلى الغذاء النباتي والحيواني والماء. وذكر البنية العلمية العقلية "وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ" [البقرة:٣١]، "كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ" [البقرة:١٥١]، "وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ" [العنكبوت: ٤٣]. والبنية النفسية الروحية: "ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ" [السجدة:٩]، وأما أرقى حالة نفسية لإنسان وهي التقوى فتشير إليها آيات كثيرة "وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ" [البقرة:١٩٧]، بل إن سورة البقرة افتتحت بذكر المتقين "ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ" [البقرة: ٢]. والإنسان يشارك الحيوان في البنية المادية لكنه يمتاز عنه بالبنية العقلية العلمية، والبشر جميعا يشتركون في البنيتين المادية والعقلية، غير أن المؤمن يتميز على سائر البشر بكمال البنية النفسية. (١) وقد تنوع حديث القرآن عن النفس، فمنه حديثه عن النفس الإنسانية وبيان صفاتها وتحليله لها وكشف خباياها، وتمزيق غيبها، وكذا حديث القران عن النفس الإنسانية باعتبار طبيعتها المزدوجة لأنها مادة وروح، أو من حيث استعدادها المزدوج للخير والشر "وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا" [الشمس:٧، ٨]، ويتفرع عن هذا مكابدته في هذه الحياة، وإغواء الشيطان له وتزيين الشهوات، فليس هذا كذلك من الإعجاز النفسي في شيء ذلكم لأن هذا حديث عن النفس الإنسانية فيه تصوير وتحذير، حث على الخير وتنفير من الشر. أما الحديث عن تأثير القرآن في النفس الإنسانية سواء كانت مؤمنة أو كافرة، وما يتبع هذا التأثير في النفس من نتائج وثمرات فهذا هو موضوع البحث إن شاء الله -عَزَّوَجَلَّ-. ولقد أشار القرآن في أكثر من آية إلى أثره في النفوس

(١) الإعجاز القرآني ص ٥١: ٥٣ بتصرف، لمحمد عادل القلقيلي، ط: دار الجبل بيروت، ط: أولى ١٤١٧، ١٩٩٧.

عندما تسمعه، بل إلى أثره في الجبال لو خاطبها الله به، "**لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَل لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**" [الحشر:٢١]، كما أشار إلى إدراك الكفار لهذا الاثر، ولذلك تواصوا على التشويش عليه، ومنع الآخرين من سماعه حتى يبقوا الغالبين "**وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**" [فصلت:٢٦]، والقرآن يثق دائما من أثره في النفوس، ولذلك طالب المسلمين أن يتلوه على الكافر المستجير، وأن يسمعوه إياه ليسلم "**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ**" [التوبة:٦]. ولم يكلف المسلم بما بعد الإسماع، فالإسماع هو الأداة الأولى والمباشرة لنقل كلام الله للآخرين وهو الأنسب لفتح القلوب إلى هدى الله، وقالَ اللَّهُ -عَزَّوَجَلَّ- حاكيًا عن عبادِهِ المؤمنينَ أنَّهم قالُوا: "**رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا**"، **والمُرادُ به القرآنُ عندَ أكثرِ السلفِ. وقالَ حاكيًا عنِ الجنّ الذين استمعُوا القرآنَ، أنَّهُم لمَّا رجعُوا إلى قومِهِم قالُوا: "إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ**". وقد وصفَ اللهُ نبيَّه -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- بأنَّه يدعُو الخلقَ بالكتابِ إلى الصراطِ المستقيم، كما قالَ اللَّهُ -عَزَّوَجَلَّ-: "**كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ**". وقالَ -عَزَّوَجَلَّ-: "**وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ**". وقد كانَ النبيُّ -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- يدعُو الخلقَ بالقرآنِ إلى الدخولِ في الإسلامِ، الَّذي هو الصراطُ المستقيمُ، وبذلكَ استجابَ له خواصُّ المؤمنينَ كأكابرِ المهاجرينَ والأنصارِ. ولهذا المعْنَى قال مالكٌ: فُتحت المدينةُ بالقرآنِ. يعني: أنَّ أهلَهَا إنَّما دخلُوا في الإسلامِ بسماع القرآنِ. كما بعثَ النبيُّ -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- مصعبَ بنَ عميرٍ، قبلَ أنْ يُهاجِرَ إلى المدينةِ. فدعَا أهلَ المدينةِ إلى الإسلامِ بتلاوةِ القرآنِ عليْهِم، فأسلمَ كثيرٌ منْهُم، فقد كان السماع للقرآن هو الوسيلة الوحيدة التي وصلت بها الرسالة الجديدة [١].

---

(١) روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي ت: ٧٩٥هـ) ج١ ص٨٩، ٩٠، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ط: دار العاصمة – السعودية، ط: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م، البيان في إعجاز القرآن ص ٣٤٢ بتصرف، د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط: دار عمان بالأردن، بدون، التعبير القرآني والدلالة النفسية ص ١٠٧، ١٠٨ بتصرف.

المطلب الثاني
التأثير النفسي والإعجاز

أولا: الإعجاز لغة: مأخوذ من عَجَزَ، الْعَيْنُ وَالْجِيمُ وَالزَّاي أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى الضَّعْفِ، وَالْآخَرُ عَلَى مُؤَخَّرِ الشَّيْءِ. [١]، ثم صار اسما للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة [٢]. يقول صاحب اللسان:" الإِعْجاز: الفَوْتُ والسَّبْقُ"[٣]. واصطلاحا: إفعال من العَجْز وهو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أَو رأْى أَو تدبير. [٤]

أما معنى "**إعجاز القرآن**" كمركب إضافي فمعناه: إثبات عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من باب إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق به محذوف للعلم به، والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به. [٥] والإعجاز ليس مقصودا لذاته، بل المقصود لازمه، وهو إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صدق، فإعجازه دليل على أنه كلام الله، فمتى سلم الدليل سلمت النبوة، بل وسلم الإسلام كله [٦]، ولما كانت رسالته للناس إلى يوم الدين وجب أن يكون الكتاب معجزا ودائم العطاء لكل الأمم على اختلاف علومها باختلاف الأمكنة والأزمنة والألسن بنصه الثابت لا يستطيع أحد أن يحيط به علما، ولذا فإن ما قرره علماء الأمة من أن إعجاز القرآن متجدد ومتنوع هو تقرير يوافق الحق، ولو توقف لأصبح مرجعا

(١) مقاييس اللغة مادة (عَ جَ زَ).

(٢) إعجاز القرآن بين السيوطي والعلماء ص ٢٦، لمحمد حسن عقيل موسى، ط: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع بجدة، ط: الثانية ١٤٢٢ -٢٠٠.

(٣) لسان العرب مادة " ع ج ز ".

(٤) بصائر ذوي التمييز ج١ ص ٦٥، للفيروزآبادى (ت: ٨١٧ هـ)، ت: محمد علي النجار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.

(٥) إعجاز القرآن بين السيوطي والعلماء ص ٥٣، مدخل إلى إعجاز القرآن للشرباتي ص ٩، الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن، بحث مقدم إلى جامعة الزرقاء الأهلية، مؤتمر كلية الشريعة السابع ٢٠٠٥.

(٦) مدخل إلى إعجاز القرآن للشرباتي ص ٩ بتصرف.

تاريخيا فحسب مهما كانت أهميته وعظمته.[١]

ولأن العربُ كانوا متقدمين في الفصاحةِ والبيان، فالأصْلُ أن يتحداهم القرآنُ بما يتقِنونه ويتفوقون فيه، ولذلك تحدَّاهم أن يأتوا بمثله أو بمثلِ سورةٍ منه، فالمثيلةُ المطلوبة منهم هي المثليةُ البيانيةُ، أيْ: أن يكونَ ما يأتونَ به مثلَ القرآنِ في بيانه وفصاحته [٢]، إذن فالإعجاز البياني هو الوجه الرئيس من وجوه الإعجاز، يقول د. الصباغ: مدار الإعجاز الذي رافقه التحدي إنما كان أسلوب القرآن ونظمه وبيانه، ولم يكن لشيء خارج عن ذلك"[٣]. ويقول الأستاذ محمود شاكر بعد استعراضه في كتابه القيم لآراء البلاغيين: إن الإعجاز كائن في رصف القرآن وبيانه ونظمه، ومباينة خصائصه للمعهود من خصائص كل نظم وبيان في لغة العرب، ثم في سائر لغات البشر، ثم في بيان الثقلين جميعا، إنسهم وجنهم متظاهرين، وأن ما في القرآن من مكنونات للغيب ودقائق للتشريع، وعجائب للخلق كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي إلى الإعجاز، وإن كل ما فيه من ذلك يعد دليلا على أنه من عند الله، ولكنه لا يدل على أن نظمه وبيانه مباين لنظم كلام البشر وبيانهم، وأنه بهذه المباينة كلام رب العالمين لا كلام بشر مثلهم.[٤]

ثانيا: الحديث هنا عن التأثير النفسي للقرآن الكريم، هل هو نوع من الإعجاز مستقل؟ أم هو نتيجة للإعجاز البياني ولغة القرآن؟ وإذا كان نوعا مستقلا فهل يشترط

(١) المختار من علوم القرآن "القرآن الكريم من التنزيل إلى التدوين والترتيل " ج ١ ص ٢٤١ بتصرف واختصار، د / أبو الوفا أحمد عبد الآخر، المكتب المصري الحديث بالقاهرة، ط: الأولى ٢٠٠٢ - ١٤٢٣، النظم العددية المنعكسة وتركيب الحامض النووي ص ٢ بتصرف، د / الصديق الحاج أبو ضفيرة، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، محرم ١٤٢٦-٢٠٠٥، بحث لمؤتمر إعجاز القرآن كلية الشريعة، جامعة الزرقاء الأهلية بالأردن ٢٠٠٥.

(٢) البيان في إعجاز القرآن، د. صلاح الخالدي ص ٧٨.

(٣) لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ص ٨٥، د/ محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط: الثالثة، ١٤١٠- ١٩٩٠.

(٤) مداخل إلى إعجاز القرآن محمود محمد شاكر ص ١٦٢، ١٦٣ بتصرف، مطبعة المدني بالقاهرة، ط: أولى ٢٠٠٢- ١٤٢٣.

فيه التحدي؟ وهو أن تفعل فعلا ثم تطالب خصمك بأن يبذل جهده في معارضته والإتيان بمثله، وأنت على ثقة من أنه غير قادر على مثل هذا الفعل، طالبا بذلك إظهار عجزه وضعفه عن غلبتك[١]، والتحدي هنا أن آتي بمجموعة من الأشخاص مثلا وأقرأ عليهم جملة من الآيات الكريمات، أو أطلب منهم قراءتها متحديا لهم بتأثير القرآن فيهم، فلا يستطيع واحد منهم أن ينكر الأثر، أو يبطله، أو يأتي بمثله مما له نفس التأثير، فألزمهم الحجة بذلك، أم أن الأمر – كما هو معلوم - يتأثر به البعض دون الآخرين للعوامل والأسباب التي سنناقشها إن شاء الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في بحثنا هذا، فلا يوجد هنا عنصر التحدي.

يقول د/ صلاح الخالدي: اعتبر بعض العلماء التحدي شرط للمعجزة، ولذا عرفوها بالأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي السالم من المعارضة، والمراد بالتحدي إبطالها أو معارضتها أو الإتيان بمثلها، ويعجزون عن ذلك لأنها من عند الله. وإننا لا نوافق من جعل التحدي شرطا للمعجزة، واعتباره قيدا من قيود التعريف، لأن التحدي ليس موجودا في جميع المعجزات، فالمعجزات نوعان: نوع مقرون بالتحدي وذلك لتكون شاهدا على صدق نبوته مثل القرآن، ونوع ليس فيه تحد، وهي التي يوجهها النبي لأتباعه فلماذا يتحداهم بها؟ مثل تسبيح الحصى ونبع الماء وغيرها.[٢] يقول ابن حزم: مَنْ ادَّعَى أَنَّ إحَالَةَ الطَّبِيعَةِ لَا تَكُونُ آيَةً إلَّا حَتَّى يَتَحَدَّى فِيهَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- النَّاسَ فَقَدْ كَذَبَ وَادَّعَى مَا لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ أَصْلًا، لَا مِنْ عَقْلٍ وَلَا مِنْ نَصِّ قُرْآنٍ وَلَا سُنَّةٍ، وَمَا كَانَ هَكَذَا فَهُوَ بَاطِلٌ، وَيَجِبُ مِنْ هَذَا أَنَّ حُنَيْنَ الْجِذْعِ وَإِطْعَامَ النَّفَرِ الْكَثِيرِ مِنْ الطَّعَامِ الْيَسِيرِ حَتَّى شَبِعُوا وَهُمْ مِئُونَ مِنْ صَاعِ شَعِيرٍ. وَنَبَعَانَ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَإِرْوَاءَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ قَدَحٍ صَغِيرٍ تَضِيقُ سِعَتُهُ عَنْ شِبْرٍ - لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ آيَةً لَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأَنَّهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمْ يَتَّحِدَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَحَدًا.[٣] كما يقول د.

---

(١) مداخل إلى إعجاز القرآن محمود محمد شاكر ص ٢١ بتصرف.

(٢) إعجاز القرآن البياني للخالدي ص ٢٠.

(٣) المحلى بالآثار، لابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ) ج ١ ص ٥٧، ٥٨، ط: دار الفكر – بيروت، ط: بدون طبعة وتاريخ.

الخالدي في موضع آخر: [١] المخصوص بالتحدي هو الإعجاز البياني، أما الباقي فهو دليل على مصدرية القرآن الكريم، فليس مقصودا به التحدي. ولا إعجاز إلا بعد العجز ولا عجز إلا بعد التحدي، ولا تحدي إلا بعد إنكار وإقامة حجة. والله لم يطلب أن يأتوا بعلم كالعلم الذي في القرآن، أو تشريع، وإنما طلب منهم بيان كالبيان الذي فيه، ولو كان المعنى مكذوبا مفترى، وهذا صريح "أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ" [هود:١٣]، ولو كان المراد العلمي والتاريخي والتشريعي لما قال مفتريات.

أقول: على قول من اشترط التحدي واعتبره من دلائل مصدرية القرآن الكريم فهو دليل قوي، بل من أقوى الأدلة على ذلك، وأن هذا الكلام من الاستحالة بمكان أن يأتي بمثله أو قريب منه بشر. أما على رأي من لم يشترط التحدي، وجعله نوعا مستقلا من الإعجاز، مثل هذه الأنواع التي جدت مع العصور من إعجاز علمي وتاريخي وتشريعي وجوها من الإعجاز، فهو من أقوى وجوه الإعجاز لما يقر به المؤمن به وغير المؤمن، صاحب اللسان وغيره، البليغ ومحدود الثقافة.

إذن: كل الآراء متفقة على وجوده، سواء كان من أنواع الإعجاز، أو من دلائل مصرية القرآن الكريم.

فعلى ذلك يكون مجمل آراء العلماء في التأثير النفسي "روحانية القرآن" ثلاثة آراء:

١- من جعله نوعا مستقلا بذاته، وهؤلاء انقسموا إلى رأيين:

الأول: أنه الوجه الرئيس من وجوه الإعجاز.

الثاني: أنه وجه مستقل كغيره من وجوه الإعجاز دون تفضيل أو تقديم له على غيره.

٢- وهو الرأي الثالث: أنه لا يعد نوعا مستقلا بذاته، وإنما هو نتيجة وأثر للإعجاز البياني يستمد منه قوته.

وسنتناول بعون الله ومشيئته كل رأي على حدة.

الرأي الأول: أنه الوجه الرئيس والمقدم على غيره من أوجه الإعجاز.

(١) إعجاز القرآن البياني للخالدي ص ١١٠.

١- الأستاذ / محمد فريد وجدي[(١)]**:** من أشد القائلين والمتمسكين بأن روحانية القرآن هي الوجه المؤثر الذي ليس بعده شيء، مما جعله ينص على أن الحديث عن البلاغة فقط بالنسبة له أمر ثانوي، فقد نص على أن جهة إعجاز القرآن هي روحانيته، وأن القرآن روح من أمر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، "**وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ**" [الشورى:٥٢]، فهو يؤثر بهذا الاعتبار تأثير الروح في الجسد فيحركها ويتسلط على أهوائها، وهو جهة إعجاز القرآن وقصور الإنس والجن أن يأتوا بمثله، وإن كان القرآن فصيح قد أخرس بفصاحته فرسان البلاغة وملوك البيان وألزمهم الحجة، ففوق ذلك كله أنه روح من أمر الله تصل من روح الإنسان إلى حيث لا تصل إليه أشعة البلاغة والبيان، هذه الروحانية تنفذ إلى سر سريرة الإنسان وسويداء ضميره، وتستولي على أصل حياته ومهب عواطفه وإحساساته، وتخلقه خلقا جديدا وتصوره بصورة لا يتخيلها، ولو قيلت له لما أدركها. ثم أخذ في ضرب الأمثلة مبينا كيف غيَّر القرآن العرب وملَّكهم العالم بعد أن كانوا مشتتين ممزقين، مثبتا بذلك أن القرآن روح إلهي وأمر سماوي يدل على ذلك الحس والواقع، وأي وجه من وجوه الإعجاز بعد مشاهدته أوقع في النفس وأنفى للشك، فهذه الروحانية يدركها من لا حظ له في فهم الكلام وتقدير الحكمة وإدراك البلاغة، ألا ترى أن الطفل والعامي كيف يعتريهما تهيب عند تلاوته ولو بغير صوت حسن. ثم نجده ينكر على من يقصر الإعجاز على الوجه البلاغي دون النظر إلى الوجوه الأخرى، ثم سرد جملة من الآيات "**وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ**" **[البقرة:٩٩]**، "**هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ**" [آل عمران:١٣٨]، "**ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ**" [البقرة:١٧٦]، "**وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**" [الإسراء:١٠٥]، "**وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**" [الأعراف:٥٢] وغيرها الكثير، مشيرا إلى أن الله وصف كتابه في هذه الآيات بأوصاف كثيرة وليس من بينها واحد يشير إلى بلاغته اللفظية، ذلك لأن البلاغة من الصفات الثانوية التي لا يصح أن يمتدح بها الله في كتابه،

---

(١) محمَّد فَرِيد وَجْدي: ١٨٧٨ - ١٩٥٤ م بالقاهرة، مؤلف دائرة معارف القرن الرابع عشر، العشرين، وصفوة العرفان وهو تفسير موجز للقرآن، والمرأة المسلمة، والإسلام في عصر العلم، وكنز العلوم واللغة، وغيرها. الأعلام للزركلي ج٦ ص ٣٢٩.

ولو كانت البلاغة أساس تحديه الكفار بالإتيان بسورة من سوره أما كان يشير إلى ذلك ولو في آية واحدة، في حين قد أتى بعشرات الآيات منوها بحقيته وحكمته وروحانيته.[١]

٢- عبد الكريم الخطيب[٢] وأن هذا الوجه هو المعجزة القائمة إلى يوم القيامة:

يقول تعقيبا على حديث الخطابي: [٣] وهذا الوجه من وجوه الإعجاز – فيما نرى– المعجزة القائمة في القرآن أبدا، الحاضرة في كل حين، وهي التي تسع الناس جميعا عالمهم وجاهلهم، عربيهم وأعجميهم، إنسهم وجنهم "**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا** " [الجن:٢،١]، أما الوجوه الأخرى التي عرضها الخطابي فهي وجوه لا تظهر لكل ناظر، ولا تتجلى في كل حين، ولكن الوجه الذي لا يخفى على عالم أو جاهل، عربي أو غير عربي، والذي يصحب القرآن دائما حيث كان، ومع من كان هو هذه الروعة التي تطلع منه القلوب وتلك السطوة التي تملك النفوس، وهذه الروحانية التي تلبس الكيان الإنساني كله وتستولي على كل خالجة منه.[٤]

٣- **د/ خليفة حسين العسال**[٥]: يقول: إن هذا الوجه عمدة وجوه الإعجاز القرآني على الإطلاق، فالروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه هي مناط الإعجاز

---

(١) دائرة معارف القرن العشرون، المجلد السابع ص ٦٧٧: ٦٨٠ بتصرف، تأليف محمد فريد وجدي، ط / دار الفكر ببيروت، بدون.

(٢) عبد الكريم محمود يونس الخطيب (١٣٢٨ -١٤٠٦، ١٩١٠- ١٩٨٥) من صعيد مصر له ما يزيد عن خمسين كتابا في الفكر الإسلامي، منها: التفسير القرآني للقرآن، إعجاز القرآن، سد باب الاجتهاد وما ترتب عليه، التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وغيرها. إتمام الأعلام ص ١٦٤، د. نزار أباظة، محمد رياض المالح، دار صادر، بيروت، ط: أولى ١٩٩٩.

(٣) مذكور بنصه تحت العنوان التالي مباشرة، ولذلك لم أذكره لقربه.

(٤) الإعجاز في دراسات السابقين دراسة كاشفة لخصائص البلاغة ومعاييرها ص ١٩٣، لعبد الكريم الخطيب، ط: الأولى، ١٩٧٤، ط: دار الفكر العربي العربية.

(٥) د/ خليفة حسين العسال، الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الشريعة والقانون والدراسات الاسلامية بجامعة قطر.

الحقيقي وهي المعجزة القائمة فيه أبد الدهر وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.[١]

وهناك من قال قريبا من هذا الرأي، ولعلي لم أذكره مع أصحاب هذا الرأي لما وجدت فيه من تمسك به وأنه هو المؤثر، لكنه يكون بجوار بلاغة القرآن وأيضا لم يدخله فيها، يقول د. محمد عزة دروزة: ومع كون اللغة القرآنية في الذروة العليا من البلاغة ليس محل شك فإن في هذا الحصر شيئا من الخطأ فيما نعتقد، إذ يجب أن يضاف إلى ذلك روحانية القرآن وقوة نفوذه. كما أن الوصف الذي به وصف أثر القرآن في الذين أوتوا العلم في آيات سورة الإسراء "**قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا**" [١٠٧:١٠٩]، والقصص "**ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ**" [٥٢،٥٣] المكيتين لا يصح أن يكون أثر فصاحة القرآن وبلاغته اللغوية فقط، بل ولا يصح أن يشك في أثر روحانية القرآن وقوة نفوذه، بالإضافة إلى روحانية الدعوة النبوية، ولاسيما أن المذكورين في الآيات كتابيون ويحتمل أن يكونوا عربا أو ممن يجيدون العربية ويتذوقون بلاغتها بقوة. بل إن هناك ملاحظة مهمة أن من آمن في العهد المكي أقل والنبي يتلو على كل من يلقاه، بل إن ثلثي القرآن قد نزل في هذا العهد وأسلوبه أقوى وأنفذ من حيث النظم والإنذار والتبشير والترغيب والحجاج والإلزام، إذن ليس أمر الإيمان أمر تذوق البلاغة، بل الجميع يعلم ما كان عليه أهل الكفر من تحذيرهم البعض من سماع القرآن وتأثر زعمائهم به.[٢]

الرأي الثاني: أنه نوع من أنواع الإعجاز مستقل بذاته:

١- **الخطابي ت ٣٨٨ هـ**[٣]**:** يقول: في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس

(١) الأثر النفسي للقرآن الكريم دراسة وتحليل د/ خليفة حسين العسال ص ٤٨.

(٢) القرآن المجيد لدروزة ص ٣٢: ٣٤ بتصرف.

(٣) أبو سليمان الخطابي البستي؛ كان فقيهاً أديباً محدثاً له التصانيف البديعة منها: غريب الحديث، ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود، وأعلام السنن في شرح البخاري، وإصلاح غلط المحدثين

فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا، إذا قرع السمع خلص إلى القلب، من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها القلق والخوف، تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من أعداء للرسول أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته ويدخلوا في دينه، وصارت عدواتهم موالاة وكفرهم إيمانا.[١]

٢- د/ عصام العبد[٢]**:** يؤيد أنه وجه مستقل بذاته كباقي وجوه الإعجاز الأخرى، ويرد على من خالف ذلك بقوله: قالوا إنه منبثق عن الإعجاز اللغوي البياني وتبع له، ولو كان هذا الرأي صحيحا فكيف يعللون تأثر الأطفال والعوام عند سماعهم للقرآن الكريم، وبما يفسرون تأثر غير الناطقين للغة العربية عند سماعهم له.[٣]

الرأي الثالث: أنه من أنواع الإعجاز، لكنه نتيجة للإعجاز البياني للقرآن الكريم:

١- الإمام الباقلاني[٤]**:** حيث يرد هذا النوع إلى التفوق البلاغي للقرآن فيقول:

ورسالة له في اعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل، نشر دار المعارف) " وغير ذلك. وفيات الأعيان ج٢ ص ٢١٤.

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ص ٧٠بتصرف، ط: دار المعارف بمصر، ط: الثالثة، بدون.

(٢) د /عصام العبد زهد، أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن، في كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين.

(٣) الإعجاز التأثيري في القرآن، عصام العبد زهد، ص ١٣٢، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني ٢٠٠٣ م.

(٤) القاضي الباقِلَّانِي (٣٣٨ - ٤٠٣ هـ = ٩٥٠ - ١٠١٣ م) من كبار علماء الكلام. انتهت اليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. من كتبه: إعجاز القرآن، والإنصاف، والتمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة

إنه أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه، وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته، وحسنه وبهجته، وحسن موقعه في السمع، وسهولته على اللسان، ووقوعه في النفس موقع القبول، مما لا ينحصر حسناً وبهجة وسناء ورفعة. وإذا علا الكلام في نفسه، كان له من الوقع في القلوب والتمكن في النفوس، ما يذهل ويبهج، ويقلق ويؤنس، ويطمع ويؤيس، ويضحك ويبكي، ويحزن ويفرح، ويهز الأعطاف، ويستميل نحوه الأسماع، وله مسالك في النفوس لطيفة، ومداخل إلى القلوب دقيقة.[١]

٢- **الشيخ محمد رشيد رضا**[٢]: الْحَدُّ الصَّحِيحُ لِلْبَلَاغَةِ فِي الْكَلَامِ هِيَ أَنْ يَبْلُغَ بِهِ الْمُتَكَلِّمُ مَا يُرِيدُ مِنْ نَفْسِ السَّامِعِ بِإِصَابَةِ مَوْضِعِ الْإِقْنَاعِ مِنَ الْعَقْلِ، وَالْوِجْدَانِ مِنَ النَّفْسِ، وَلَمْ يُعْرَفْ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِ أَنَّ كَلَامًا قَارَبَ الْقُرْآنَ فِي قُوَّةِ تَأْثِيرِهِ فِي الْعُقُولِ وَالْقُلُوبِ، فَهُوَ الَّذِي قَلَبَ طِبَاعَ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَحَوَّلَهَا عَنْ عَقَائِدِهَا وَتَقَالِيدِهَا، وَعَادَاتِهَا وَعَدَاوَاتِهَا. ثم يذكر ما حدث مع بعض غير المسلمين فيقول: وَقَدْ رَأَيْنَا وَرُوِّينَا عَنْ بَعْضِ أُدَبَاءِ هَذِهِ اللُّغَةِ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُمْ يَذْهَبُونَ فِي بَعْضِ لَيَالِي رَمَضَانَ إِلَى بَعْضِ بُيُوتِ مَعَارِفِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِيَسْمَعُوا الْقُرْآنَ وَيُمَتِّعُوا ذَوْقَهُمُ الْعَرَبِيَّ وَشُعُورَهُمُ الرُّوحَانِيَّ الْأَدَبِيَّ بِسَمَاعِ آيَاتِهِ الْمُعْجِزَةِ، وَقَدْ شَهِدَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِنْصَافِ مِنْهُمْ بِهَذَا الْإِعْجَازِ فِي النَّظْمِ وَالْأُسْلُوبِ، وَالْبَلَاغَةُ يَغُوصُ تَأْثِيرُهَا فِي أَعْمَاقِ الْقُلُوبِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْقَهُوا دَلَالَةَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ-عَزَّوَجَلَّ-.[٣]

والخوارج والمعتزلة وغيرها. الأعلام للزركلي ج٦ ص ١٧٦.

(١) إعجاز القرآن للباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) ص ٢٧٦، ٢٧٧ باختصار، ت: السيد أحمد صقر، ط: دار المعارف – مصر، ط: الخامسة، ١٩٩٧م.

(٢) محمَّد رَشِيد رِضا ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م، البغدادي الأصل، توفي ودفن بالقاهرة، صاحب مجلة (المنار) من الكتّاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، لازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، من مؤلفاته الوحي المحمدي، ويسر الإسلام وأصول التشريع، وشبهات النصارى وحجج الإسلام وغيرها. الأعلام للزركلي ج٦ ص١٢٦.

(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤ هـ) ج١ ص ١٦٨، ١٦٩ باختصار وتصرف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٩٩٠م.

٣- الرافعي[(١)] **:** يقول: الطريقة النفسية في الطريقة اللسانية: القرآنُ وإن كان لم يخرج عن أعلى طبقات اللغة، ولا برز عن وجوه العادة في تصريفها، غير أنه أتى بذلك من وراء النفس لا من وراء اللسان، فجعل من نظمه طريقة نفسية في الطريقة اللسانية، وأدار المعاني على سنن ووجوه تجعل الألفاظ كأنها مذهب هذه المعاني في النفس، فليس إلا أن تقرأ الآية على العربي أو من هو في حكمه لغة وبلاغة، حتى تذهب في نفسه مذهبها: لا تَني ولا تتخلف.[(٢)]

٤- د/ فضل حسن عباس[(٣)] **:** الإعجاز الروحي: هو ذلكم التأثير العظيم لهذا القرآن على النفوس هيبة وحلاوة رغبة ورهبة، ولا يعرف كتاب في الدنيا كلها له من الأثر على تاليه، ومستمعه كما لهذا القرآن، حتى أولئك الذين لا يدركون معانيه ولا يفهمون ألفاظه، نجدهم يتأثرون بهذا القرآن وصدق الله "**ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ**" [الزمر:٢٣]، "**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ** بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" [الرعد:٢٨]، لعل أول من نبه على هذا الوجه الإمام الخطابي. ثم يقول بعد ذكره لكلام محمد فريد وجدي معترضا على جعله هذا الوجه من الإعجاز وجها منفصلا عن بيان القرآن وبلاغته، منكرًا عليه ذلك؛ لأن التأثير في نظره ناتج عن كونه من أعلى طبقات البلاغة، فحري أن يكون له ذلك الأثر "**كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**" [هود:١]، وصدق القائل: "**وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ**

---

(١) مُصْطَفى صادق الرَّافِعِي (١٢٩٨ - ١٣٥٦ هـ = ١٨٨١ - ١٩٣٧ م) عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب. أصله من طرابلس الشام، ومولده ووفاته بمصر، له تاريخ آداب العرب، وإعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، وتحت راية القرآن وغيرها. الأعلام للزركلي ج٧ ص ٢٣٥.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص ١٨١.

(٣) د/ فضل حسن عباس (١٩٣٢-٢٠١١): أحد أبرز علماء السنة في الأردن، وأحد العلماء المعدودين في التفسير وعلوم القرآن واللغة والبلاغة درس بجامعة الأزهر حتى حصل على الدكتوراه بعنوان اتجاهات التفسير في مصر والشام، ومن مؤلفاته: إعجاز القرآن، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، واتجاهات التفسير ومناهج المفسرين في العلم الحديث، وغيرها. شبكة المعلومات الدولية الأنترنت موقع ar.m.wikipedia.org

الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا" [الرعد:٣١]، فالإعجاز الروحي إذا أردنا أن نعده وجها من وجوه الإعجاز فهو ناشئ عن الصبغة البيانية السامية والأسلوب الرفيع والنظم البديع، الصبغة البيانية التي تتمثل في أصوات حروفه وترتيبها في كلماته، ونظم هذه الكلمات في جملة [١].

٥- د/ محمد رجب البيومي[٢] ورده على محمد فريد وجدي: يقول: ونحن نتساءل في الرد على ذلك أوَ يمكن أن تظهر روحانية القرآن دون أسلوب بليغ يحملها للناس، فيستحيل علينا بداهة أن نتصور هذا الظهور دون كلام يقال؟ وإذا ثبت أن الأسلوب القرآني هو موضع هذه الروحانية النافذة، فقد صارت الشقة قريبة بين من يقولون بالإعجاز البلاغي وبين الأستاذ الكبير، إن لم تكن هناك شقة على الإطلاق، وإذا كانت بلاغة البشر تفقد تأثيرها باستمرار التلاوة دون بلاغة القرآن، فلأن الأسلوب القرآني يحمل من وسائل إعجازه ما يرتفع به عن بلاغة البشر، وعلينا أن نبحث عن ذلك في مطاوي نظمه وطريقة تعبيره وتصويره، وكون القرآن روحا من أمر الله لا يحصر إعجازه البياني في معنى كلي بل يدفع الدارس إلى استنشاق هذا الروح فيما يتراءى من قوة أسره ودقة تدليله وبلاغة تصويره، مما يسيطر على النفوس سيطرة تدفع إلى الإذعان المؤمن والاستسلام البصير، فالقرآن ذو روح قوية غالبة، ولكن هذه الروح تستكن في كلمات وآيات وسور، وهي موضع الإعجاز.[٣]

أقول: ذكرت سابقا اتفاق الجميع على وجود التأثير النفسي للقرآن الكريم، وهنا أيضا الاتفاق على أنه سر من أسرار الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، لكن الاختلاف في هل هذا السر

---

(١) اعجاز القرآن ص ٣٤٩ بتصرف، د/ فضل حسن عباس، سناء فضل عباس ١٩٩١.

(٢) محمد رجب البيومي (١٩٢٣ – ٢٠١١) أديب كاتب وشاعر مصري، رئيس تحرير مجلة الأزهر، أستاذ الأدب والنقد عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر، من مؤلفاته: البيان القرآني، خطوات التفسير البياني وقد أصدرهما مجمع البحوث الإسلامية، البيان النبوي، أدب السيرة النبوية عند المعاصرين وغيرها. شبكة المعلومات الدولية الأنترنت موقع ar.m.wikipedia.org

(٣) البيان القرآني ص ٢٥١ بتصرف، د محمد رجب البيومي، ط: دار النصر للطباعة بالقاهرة، ط: ١٣٩١ -١٩٧١.

نابع من بيان للقرآن، من نظمه وأسلوبه وجرسه الذي يحسه الجميع، الخواص منهم والعوام، محدود الثقافة وغزيرها، أم أنه سر من أسرار الله لا تعليل له إلا القول بأن هذا كلام رب فيه من الأسرار ما لا يعلمه إلا هو، غير مرتبط بالبلاغة اللفظية والبيان. يمكنني القول بأن القولين أحدهما مكمل للآخر، فكل منهم يكمل صاحبه، فإذا قلت أنه سر من أسرار الله غير مرتبط ببيانه القرآني فهذه خطأ إن اقتُصر عليه، وإن قلنا إن مصدره البيان القرآني فقط فقد ضيقنا واسعا، فسنرى تأثرا ممن لم يعرف العربية أصلا، إنما أرى أن نقول: إنه سر من أسرار الله تبارك وتعالى من أعظم وسائله وأقواها هو البيان القرآني. وهذا ما سنشاهده جميعا في بقية البحث، والله الموفق.

المطلب الثالث

البحث عن سر التأثير النفسي للقرآن الكريم

إن في هذا القرآن سرا خاصا، يشعر به كل من يقرأه أو يسمعه، هذا السر بخلاف المعاني التي يدركها العقل من التعبير، يدركه بعض الناس بوضوح والبعض الآخر قد يغمض عليه، ولكنه على كل حال موجود، لكنه يصعب تحديد مصدره: أهو العبارة ذاتها، أم معناها، أم إيقاعها القرآني الخاص، أم كل ذلك مجتمع، أم إنه شيء آخر غير محدد. إنه سر مودع في كل نص قرآني. ولذا سنحاول التعرف على شيء من أسباب هذا التأثير:

١ - **كونه سر من أسرار الله تعالى:** هذا سر من أسرار القران يكمن في ذاته وروعته وهيبته وفي أثره على الأسماع وتأثيره في القلوب؛ فالقرآن فيه من عطاء الله ما تحب النفس البشرية ويستميلها. إنه يخاطب فيها ملكات خفية لا نعرفها نحن ولكن يعرفها الخالق -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وهذه الملكات تنفعل حيثما يُقرأ القرآن، ففي القرآن طاقة روحية ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان فهو يهز وجدانه ويرهف أحاسيسه ومشاعره، ويصقل روحه ويوقظ إدراكه وتفكيره، ويجلي بصيرته، فإذا الإنسان نتيجة لتأثير القرآن يصبح إنسانا جديدا كأنه خلق خلقا جديدا؛ لذلك فإن كل من يسمع القرآن سيجد له تأثيرا وحلاوة قد لا يستطيع تفسيرها، ولكنه تجذبه إلى الإيمان. ولو لم يكن كذلك ما خاف أهل الكفر من استمالته وجذبه لقلوبهم.[١]

٢- **الكلمة القرآنية:** الكلمة القرآنية أحد أسرار الإعجاز البياني، فهي دقيقة في موضعها ووصفها ومعناها، مختارة منتقاة لا يمكن أن تستبدل بأخرى، تقرب المعنى إلى العقل البشري بوصف حسي يوضح معناها النفسي. يقول ابن عطية: "كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد. ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام".[٢] وقد أفرد علماء الإعجاز قديما وحديثا

(١) الأثر النفسي للقرآن الكريم دراسة وتحليل د/ خليفة حسين العسال ص ٤٨: ٥٠ بتصرف.

(٢) تفسير ابن عطية "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"ج١ ص٥٢، ت: عبد السلام عبد الشافي

للكلمة جانبا كبيرا من حديثهم.

٣- أسلوب القرآن: لقد سد القرآن ببلاغته على العرب مجال التفكير في المعارضة، فأدركوا في سريرتهم عجزهم وأسروا هذا العجز، ورجعوا إلى حملتهم بأنه محض افتراء وأن صاحب الرسالة كذاب؛ فقد باغتهم القرآن بمميزات أدركوا جمالها وعجزوا عن مثلها، منها ما يرجع إلى أسلوب القرآن الذي خالف أساليبهم في الكلام، وهذه المميزات منها الظاهر الواضح الذي يمكن حده والإشارة إليه، ومنها ما هو داخلي يدرك بالذوق ويصعب بيانه وتعليله، بل قد يكون متعذرا. وذلك أنه قد حوى صفات الأدب الخالد ومميزاته، مما جعل المتأخرين من العرب ومن تعلموا العربية يدركون إعجازه ويتذوقون جماله، وهذا ما جعله لا يخلق على التكرار، ولا يسرع الملل إلى قارئه مهما أعاده إن لم يكن متحيزا أو متحاملا. وذلك يظهر في أسلوبه العظيم الذي أدى ما يراد إلى إبلاغه إلى الناس بأجمل موسيقى وخير أداء، فترى المعنى ينساب إلى النفس مع انسياب الألفاظ إلى السمع فكأن الكلام يقع في القلب لا في الأذن وترى الروح فيها يخاطب الروح. هذه الصفات هي التي أذهلت عقول الجاهلين فحاروا فيما يقولون أسحر أم شعر؟ أكلام بشر أم كلام فوق طاقة البشر؟ وهذه الصفات هي التي ساقت المسلمين لأن يقولوا إن القرآن معجز لأنه يحيط بالألفاظ والمعاني فيقدر الألفاظ على أقدار المعاني، فينتظم منها ما يسحر اللب ويأخذ القلب.[(١)] وقد امتاز الخطاب القرآني بـ[(٢)]:

- روعة الخطاب وأخذه بالأفئدة والأسماع والمشاعر، والعواطف، والنفوس.
- عظمة تصويره للحياة والنفس البشرية في جميع أحوالها، وللمثل العليا في الحياة

محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢ هـ.

(١) فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر ص ٢٧: ٣١ باختصار وتصرف، د/ نعيم الحمصي، ط: الرسالة بلبنان، ط: الثانية، ١٤٠٠-١٩٨٠.

(٢) خطاب النفس في القرآن الكريم، حقيقته، أساليبه، مقاصده. ص ٦٣، ٦٤ باختصار، وهي مذكرة لنيل درجة الماجستير في القرآن الكريم والدراسات الأدبية، إعداد موصدق خديجة، السنة الجامعية ٢٠٠٦-٢٠٠٧.

المهذبة.

- أنه ليس كتاب قصص أو تسلية، إنما هو منهاج الحياة الروحية والاجتماعية الصحيحة.
- بساطة الأسلوب ووضوحه وجماله وقوته وجزالته وعذوبته.
- شرف معانيه وسمو حكمته، وجلال دعوته، وصدق حجته، وعمق منزعه، وعلو تصويره.
- عظمة أغراضه ومقاصده ورفعة مراميه.

٤- **دعوته للمثل العلى:** وقد سبق الذكر في الحديث عن أسلوبه مما يجعله أدبا خالدا وهذه المميزات أيضا تظهر في الفكرة العامة السامية التي يقولها والتي تجعل فيه وحدة موضوعية غائية تسعى للمثل العلى، وتحقيق خير الإنسانية، وتظهر في العاطفة الصادقة القوية العميقة التي تنبت فيها، ويستشفها القارئ له من ثنايا آيِه وسوره، وتثيرها التلاوة في نفسه فيستشعر أن روحا قويا خفيا يحمله من عالم الأرض ليحلق به في عالم السماء، ويدرك أن القران يفتح عينيه ليرى المثل العليا جلية بهية قريبة المنال، إذا صمم العزم على سلوك طريقها. وتظهر هذه المميزات في تعاليمه الرقيقة وقيمه الخلقية التي تسعى لتنظيم الكون على بساطتها، التي هي سر من أسرار جمالها.[١]

٥- **استيعاب كلمات القرآن جميع المعاني والمشاعر:** إن القرآن يتناول من الكلمات المترادفة أدقها دلالة، وأتمها تصويرا بالنسبة إلى نظائرها، فإذا استنفدت اللغة طاقتها ولا تزال بقية من المعنى أو الصورة شاردة وراء حدود اللغة، اتسعت لها الكلمة القرآنية وشملتها عن طريق ما تتسم به من جرس ووزن وإيقاع. ولا يستطيع أحد أن يجعل قاعدة أو ضابطا لذلك فيأمل أن يطبقه في تعبيراته وكلماته فيتم بها تصوير اللفظ المعنى، إنما هو الإحساس الذي يفيض به شعور القارئ عند تلاوته لهذه الكلمات أو سماعه لها مسبوكة مع بعضها، قائمة ضمن هيكلها القرآني الفريد. فأغطش مثلا في قوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: "**وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا**" مساو من حيث الدلالة اللغوية لأظلم. ولكن "أغطش" تمتاز بدلالة أخرى من وراء حدود اللغة يستقل بها الوزن وجرس

(١) فكرة إعجاز القرآن للحمصي ص ٢٧: ٣١ باختصار وتصرف.

الأحرف متآلفة مع بعضها. فالكلمة بهذه الدلالة تعبّر عن ظلام انتشر فيه الصمت وعمّ فيه الركود وتجلّت في أنحائه مظاهر الوحشة. ولست بحاجة- لفهم هذه الصورة من الكلمة- إلى وساطة لغة أو مراجعة قاموس وإنما هو إحساس ينبعث في نفسك من طبيعة الكلمة ووقع حروفها.(١)

٦- الإيقاع الصوتي والتناسق الفني: والحديث هنا عن الروعة والجمال والهيبة التي ترجع إلى الإيقاع الصوتي والتناسق الفني بين كلمات القرآن العظيم وآياته، هذا التناسق وهذا الإيقاع هو الذي أذهل سامعيه، فلم يلبثوا حين وقعت على مسامعهم آياته أن يتحولوا عن رأيهم المعادي، وأن يركنوا إلى مسالمته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ويدخلوا في دينه، وما هذا التأثير إلا آية من آيات الرحمن تشعر بعظمة وسحر هذا البيان الإلهي الذي أودعه الله مكنون كتابه ليشهد بعظيم آلائه ونعمائه. إن هذا الإيقاع الصوتي لينبعث حتى في اللفظة المفردة في كل آية من آياته فتكاد تستقل بجرسها وموسيقاها بتصوير لوحة فيها اللون زاهيا أو خفيفا، وفيها الظل كثيفا أو شفيفا، وإذا وقفنا لنتأمل صورة: هل هناك لون أزهى وأبهى من نضرة الوجوه السعيدة الناظرة إلى خالقها، هل هناك لون أشد تجهما من سواد الوجوه الشقية الكالحة الباسرة "**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ**" [القيامة:٢٢:٢٥] لقد استقلت في لوحة السعداء لفظة" نَاضِرَةٌ" بتصوير أزهى لون وأبهاه، كما استقلت في لوحة التعساء لفظة "بَاسِرَةٌ" برسم أمقت لون وأنكاه.(٢)

٧- تصوير المشاهد: من خلال المثال السابق وضح جليا ما للأداء القرآني من طابع بارز في القدرة على استحضار المشاهد، والتعبير المواجه كما لو كان المشهد حاضراً، بطريقة ليست معهودة على الإطلاق في كلام البشر ولا يملك الأداء البشري تقليدها. إنك إذا قرأت القرآن بإمعان وتدبر، فإنك تستقبل معانيه بكل قلبك وعقلك وخيالك، وإذا كان المعنى عبارة عن كل ما يدركه العقل، فكل ما علمه العقل فهو معنى، فصلة الكلام بالعقل دائما؛ والمتكلم إنما يخاطب في الناس عقولهم؛ فإذا أدرك العقل واستوعب، حمل إلى

(١) من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله-عَزَّوَجَلَّ- ص١٤٠ وما بعدها بتصرف واختصار.
(٢) مباحث في إعجاز القرآن، د.جمال العمري ص ١٣٢، ١٣٣ بتصرف.

مكامن الإحساس والوجدان من ذلك المعنى ما يلائمه من التأثيرات المختلفة. فتفاعل الإحساس بها وتأثر. غير أن لكلام القرآن طريقة أخرى في الخطاب. إنه لا يخاطب العقل وحده، مثل سائر أنواع الكلام. ولكنه يخاطب كلّا من العقل والخيال والشعور معا فينفث في المشاعر والخيال إحساسا بصورة ذلك وينبههما إلى ما فيه من حركة وحياة. فكل لفظ قرآني له معناه الخاص به، يتجلى فيه هذا الإشعاع التصويري الجميل الذي عبر الجمل والتراكيب، ولقد تَوَافَرَ للصورة التعبيرية كلُّ عناصر الجمال التعبيري من صدق ودقة وجمال فني، وبرز الجمال الفني في دقة التعبير عن السرعة الخاطفة المثيرة لمدركات الخيال.[١] وسرّ العجب والإعجاز في ذلك: أولا: أن المعاني في حقيقتها، ليست إلا مجردات اعتبارية، يهضمها ويدركها العقل وحده. فتحوّلها إلى صورة مما تألفه العين ويدركه الشعور والخيال، مما لا يقدر عليه الإنسان إلا في حدود ضيقة وبالنسبة لمعان معينة. ثانيا: أن الألفاظ ليست إلا حروفا صوتية جامدة، فتحولها إلى صورة في لوحة يتأملها الخيال، بل تكاد أن تدركها العين قبل أن يستوعبها العقل. ومع ذلك فإن لكلّ من المعنى واللفظ في القرآن شأنا آخر، فليست المعاني في القرآن مجردات اعتبارية لا يدركها إلا العقل، وإنما هي صورة حيّة تمرّ بخيال القارئ، ويلمسها إحساسه، وتكاد أن تراها عينه. وليست الألفاظ في القرآن تلك الحروف التي لا تدل إلّا على المعنى، بل هي ينبوع يفيض بالصور والأحاسيس والألوان، وطريقة من الأداء تبث في الإحساس صورة مجسمة حية للمعنى، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: "**بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**" [الأنبياء:١٨] فالقذف والدفع والزهق كلمات ما كان ليخطر في بال أي متأمل أن يستعملها في مجال التعبير عن أن الحق هو الذي تتقبله النفوس والعقول الحرة دائما، ولكن الإعجاز القرآني هو الذي طوع مختلف الألفاظ لمختلف الصور والمعاني والأفكار.[٢]

---

(١) القرآن الكريم الجمال التصويري بين اللفظ والمعنى ص١، لمحمد قطب عبد العال، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، ذو الحجة ١٤٣١هـ - ديسمبر ٢٠١٠م، العدد:١٢، السنة: ٣٤ الفكر الإسلامي، مباحث في إعجاز القرآن، د.جمال العمري ص ١٣٢، ١٣٣ بتصرف.

(٢) من روائع القرآن للبوطي ص ١٦٨، ١٦٩ بتصرف واختصار، مباحث في إعجاز القرآن د/ أحمد جمال جمال العمري ص ١٧٧: ١٨١ بتصرف.

المطلب الرابع
فوائد التأثير النفسي للقرآن

١- تمييز هذا الكتاب عن غيره وإثبات أنه من عند الله : قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- "**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ**". إن طابع الصنعة الربانية ظاهر في القرآن الكريم يفرقه عن كلام البشر، في مبناه ومعناه، وهي قضية واضحة يدركها أحياناً من لا يفهمون من العربية حرفاً بصورة تدعو إلى العجب، مما يثبت أنه من دلائل معجزاته وعظيم آياته الدالة على نبوة المصطفى-صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومن الأسرار التي اختص الله بها القرآن فهو من صنع الله الذي لا يملك أحد محاكاته، ولا يملك الإنس والجن أن يأتوا بمثله، ولو تظاهروا وتعاونوا في هذه المحاولة: "قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً" فهذا القرآن ليس ألفاظا وعبارات يحاول الإنس والجن محاكاتها. إنما هو إبداع الخالق الذي يعجز عنه الخلق، حتى وإن أدركوا بعض خصائصه أو آثاره، فلا يخفى حتى على العامّة الذين لا يتمتعون بدراية واسعة للبلاغة العربية أو الثقافة العامّة، إذا كانوا ممّن يقرءون القرآن بتأمل وتدبّر أن هذا الكلام لا يمكن أن ينطق به بشر من الناس، دون أن يعلموا البرهان الواضح على يقينهم هذا، إنما يستشعرون في الحقيقة، جلال الربوبية في القرآن، إلا أن القارئ الذي لا يتمتع بثقافة أو دراية علمية واسعة لا يمكن أن يعبّر عن مصدر شعوره أو يقينه الذي تأثر به. ولذا يجب أن ننبّه إلى حقيقة علمية ونفسية لا يقع فيها ريب ولا مراء؛ وذلك أنه من المعلوم أن الكلام مرآة دقيقة لطبيعة المتكلم، لذا لم يكن من اليسير أن يقلّد كاتب كاتبا آخر في أسلوبه إذا كتب، ولا يتقمص نفسيته في كتابته، ولقد حاول كثيرون ذلك دون جدوى. فإن الفوارق النفسية والطبيعية تحول دون ذلك، على الرغم من وجود الإنسانية قاسما مشتركا بين الجميع، فأحرى - في باب البداهة والوضوح- أن لا يستطيع إنسان من الناس أيّا كان، أن يتجرد عن بشريته، ثم يجعل من نفسه إلها وينطق بكلام تبرز فيه خصائص وصفات الألوهية التي تميزه عن مظاهر البشرية والضعف الإنساني. إذا كان الإنسان عاجزا عن تقليد أسلوب أخيه بسبب حواجز الطبائع المتخالفة، أيكون قادرا على صياغة كلام بعيد عن شوائب

البشرية، تشعّ منه رهبة الربوبية وينشر من حوله جبروت الألوهية، وأن ينطق بأسلوبه ويرتدي صفاته؟ إن هذا مستحيل بلا شك.(١)

٢- **كسر الملل:** يمد القرآن بتأثيره هذا النفوس بنشاط لا ينفد، فيتغلب على مشاعر الملل، فالملل موات عاطفي يجمد المشاعر، فما تكاد تتأثر بالحقائق، وكثير من الناس يصلون في حياتهم العادية إلى هذه المنزلة، فنجد لهم برودا غريبا بإزاء المثيرات العاطفية، لا عن ثبات وجلادة بل عن موت قلوبهم وشلل حواسهم. فالقرآن يخترق أسوار الغفلة ويصل إلى صميم القلب ثم يقف راغبا أو راهبا بإزاء ما يريد، والشعور والرغبة والرهبة والرقة يغمرك وأنت تستمع إلى قصص الأولين والآخرين تروى بلسان الحق ثم يتبعها فيض من المواعظ والحكم والمعاني والعبر تقشعر منه الجلود.(٢)

٣- **التغيير الجِذري للناس والمجتمع:** جاء القرآن بروحانيته ليهذب النفس البشرية ويصوغها على الهدى والطمأنينة بشرع الله وهديه "**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**" ومن ثم تنعكس هذه النفسية المهذبة على الجوارح فلا تتحرك إلا بما يتصل بالله وشرعه. فالقرآن يخاطب الفطرة، خطابا خاصا غير معهود في كلام البشر، خطابا يقلب القلب من جميع جوانبه ومداخله، ومن ثم يعالجه علاج الخبير بكل سر فيه، فالقرآن منهج حياة كامل، يعالج النفس والجماعة، لا يغيب عن حسابه احتمال ولا ملابسة؛ لأن مشرع هذه القوانين هو العليم بها، بخلاف النظم البشرية القاصرة عن الإحاطة بجميع الاحتمالات في الوقت الواحد، فإذا عالجت ظاهرة برزت أخرى تحتاج إلى علاج، فعجز الإنس والجن عجز إبداع منهج يحيط بما يحيط به. ولقد تبين لنا كيف غير جفاة الأعراب عادة وخلقا وطبيعة فجعلهم سادة الأرض. فلقد بلغ القرآن في تأثيره مبلغا خرق به العادة في كل ما عرف من كتب الله والناس من التأثير النافع بالكلام وغيره، وذلك أن الإصلاح الذي جاء به والانقلاب الذي

---

(١) من روائع القرآن للبوطي ص١٥٦ إلى ١٦٠ بتصرف واختصار، المعجزة الخالدة، د. حسن ضياء الدين عتر ص ٣٤٣، دار البشاير الإسلامية، ط: الثالثة ١٤١٥-١٩٩٤.

(٢) نظرات من القرآن للشيخ محمد الغزالي ص ١٠٨: ١١٠ بتصرف، ط: نهضة مصر، ط: السادسة ٢٠٠٥.

تركه ما حدث ولم يكن ليحدث في أي عهد من عهود التاريخ، فقد صد الناس عن نهجهم الأول في عقائدهم وعبادتهم وأخلاقهم وعاداتهم، وحملهم على اعتناق هذا الدين الجديد الذي هدم تلك الموروثات وحاربها. وهذا ما قصرت عنه جميع كتب التعليم للعلماء والمصلحين وكافة القوانين البشرية؛ لأن قصارى هذه الكتب والقوانين إذا وفقت أن تشرح الحقائق وتبين الواجهات، لا أن تحمل على الإيمان وتدفع إلى العمل به، وإذا فرض أن يؤمن بها أصحاب الاستعداد السليم فإيمان مجرد من قوة الدفع، مما جعل هذا الأساس الذي وضعه القرآن وحده هو سر النهضة ونور الهداية والروح الساري لإحياء العالم بدعوته وذلك عن طريق أسلوبه المعجز الذي هز النفوس والمشاعر وملك القلوب والعقول وكان له من السلطان ما جعل أعداءه منذ نزوله إلى اليوم يخشونه ويخافون تأثيره أكثر مما يخافون الجيوش الفاتحة لأن سلطان الجيوش والحروب لا يعدو الأجسام، أما سلطان هذا الكتاب فقد امتد إلى حرائر النفوس وكرائم الأرواح بما لم يعهد له نظير.(١)

٤- **حل المشكلات:** كم من مشكلة عالجها القرآن مما لا تخفى على أحد، فلقد خاطب الله عباده بخطاب لمس به إنسانيتهم ووقف على طباعهم، وقدم الحلول لمشاكلهم بطريقة تتجاوب مع النفوس والأفئدة، فحل المشكلات ولبَّى الطلبات، فللقرآن تأثير في النفوس وجاذبية يفتح بها مغاليق القلوب، وهيبة يحيي بها موات الضمير، فللقرآن تأثيره البالغ الشأن في نفس الإنسان، فهو يرقق القلب وتسمو به النفس ويخفف من وهج الحياة وأعبائها فيكون الشفاء لما في الصدور ونورا نمشي به في حياتنا بردا وسلاما وأمنا واستقرارا.(٢)

٥- **مخاطبة العقل وإقناعه مع إمتاع العاطفة والوجدان لجميع فئات الناس:** كم من حديث تركناه لأنه يستهوي النفس والعاطفة لكن لا مجال للعقلانية فيه، وكم من

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ) ج٢ ص٤٠٥: ٤٠٧ بتصرف واختصار، الاعجاز التأثيري في القران د/ زياد عواد ص٣٦٣.

(٢) التعبير القرآني والدلالة النفسية، د الجيوسي ص ١٣٢بتصرف، الأثر النفسي للقرآن الكريم دراسة وتحليل د/ خليفة حسين العسال ص ٤٥، ٤٦بتصرف.

حديث روعي فيه جانب العقل لكنه منتزع المشاعر، جاف الأحاسيس، لكن القرآن خطاب للعقل والعاطفة معا والأكثر من ذلك أنه لجميع الفئات العامة والخاصة، ولقد بين أن الناس ليسوا سواسية، فعامل الجميع كل باختلاف المؤثرات التي تؤثر فيه، دون إهمال لجانب على حساب الآخر أو فئة على حساب أخرى؛ لأنك حينما نخاطب إنسانا ولم تعرف ما نفسه، فإننا لا نستطيع أن تصل إلى أعماقه، فلا تستطيع أن تخاطب العامة بنفس أسلوب المثقفين، ولذا فعلينا اختيار الأسلوب الأمثل لكل حال حتى يتأثر بما يسمع، بل إن الانسان أحواله متغيرة بين الفرح والغضب، فالقرآن أحاط بالحالات النفسية للمخاطبين جميعا مما يجعلهم يقرون بتأثيره، فقد خاطب العقل بمنطق قوي وحجة ظاهرة ودليل قاطع، وفي الوقت نفسه خاطب الشعور والوجدان واستدر العاطفة وأيقظ الإحساس دون إهمال. فروحانية القرآن تتسع للبشر جميعا سواء كان من العامة أم من الخاصة، فالقرآن الكريم إذا قرأته على العامة أو قرئ عليهم أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته وفهموا منه على قدر استعدادهم ما يرضي عقولهم وعواطفهم وكذلك الخاصة إذا قرأوه أو قرئ عليهم أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته وفهموا منه أكثر مما يفهم العامة ورأوا أنهم بين يدي كلام ليس كمثله كلام[١]. وممن أبدع وأجاد في هذا الموضوع الشيخ محمد عبد الله دراز من أن للنفس الإنسانية قوتان: قوة تفكير، وقوة وجدان، وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها. فأما إحداهما فتنقب عن الحق لمعرفته، وعن الخير للعمل به، وأما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم، والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين، فيؤتيهما حظهما من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معًا. ثم قارن بين العلماء والشعراء، وأنهم يميلون إلى جانب واحد، ويقصرون في الآخر فالعلماء والحكماء يميلون إلى ثمرة العقل دون النظر إلى غيرها، أما الشعراء فهمهم استثارة الوجدان والشعور، ولا يوجد عند الجميع شيء من التعادل بين قوة التفكير والوجدان، فمن إذا الذي جمع بين الحقيقة البرهانية الصارمة، والمتعة الوجدانية الطيبة، ذلك رب العالمين الذي لا يشغله شأن عن شأن ألا

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ج٢ ص ٣١٣ بتصرف، الإعجاز التأثيري في القرآن، عصام العبد زهد ص ٩٩ بتصرف واختصار.

تراه في فسحة قصه وأخباره لا ينسى حق العقل من حكمة وعبرة؟ أوَ لا تراه في معمعة براهينه وأحكامه لا ينسى حظ القلب من تشويق وترقيق، وتحذير وتنفير، وتهويل وتعجيب، وتبكيت وتأنيب؟ يبث ذلك في مطالع آياته ومقاطعها وتضاعيفها "**تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ**"، "**إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ**".[(١)]

٧- **الإقبال بقوة على معرفة أسرار هذا الكتاب وعلومه:** فمن الطبيعي لكل من يتأثر أن يطرح سؤالا ما السر في هذا الكتاب وكلماته دون سائر الكلمات؟ ما الذي جعله يفعل بي ذلك؟ ما الذي جعله يغير حياة الأفراد والأمم؟ كل ذلك يحتاج إلى أجوبة هي مفاتيح العلوم.

(١) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ص ١٤٨: ١٥١ بتصرف واختصار، د/ محمد بن عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧ هـ)، ط: دار القلم، ط: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

المطلب الخامس

أسباب ضعف التأثر عند البعض أو عدمه

إن الروحانية التي انبثقت من القرآن هي التي أحدثت انقلابا في النفوس والموازين البشرية وسمت بأرواحهم، ولم يستطع أحد من البشر أن يفعل فعلها، ويغير كينونة النفوس، ويصوغها صياغة جديدة مختلفة عما قبل، وجذبتها جذبا إلى السماء بعد أن كانت منقادة إلى الأرض ولا شك في هذا ولا غرابة، لقد ضرب الله مثلا للإنسان أن الجمادات التي لا روح فيها يمكن أن تتأثر من روحانية القرآن وتوجل منه [١]، يقول العلامة أبو السعود: "**لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**" أي لو أنزلنا هذا القرآن العظيمَ الشأنِ المنطويَ على فنونِ القوارعِ على جَبَلٍ من الجبالِ لَّرَأَيْتَهُ مع كونِهِ عَلماً في القسوةِ وعدمِ التأثرِ مما يصادِمُهُ خاشعا مُّتَصَدّعاً مِنْ خَشْيَةِ الله أي متشققاً منها، وهذا تمثيلٌ وتخييلٌ لعلوِّ شأنِ القرآنِ وقوةِ تأثيرِ ما فيهِ من المواعظِ كما ينطق به قوله -عَزَّوَجَلَّ-: "**وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**" أُريدَ به توبيخَ الإنسانِ على قسوةِ قلبهِ وعدم تخشعِهِ عندَ تلاوتِهِ وقلةِ تدبرِهِ فيه[٢]. لكن قد يقول قائل إن ما تذكر لا أتأثر به. أقول: ذلك يرجع إلى أسباب عدة منها:

١- **ضعف العقيدة:** فلا يغيبن عن البال أن لقوة العقيدة وضعفها أثر كبير في القول بالإعجاز أو عدمه، فإن للقرآن في قلوب المؤمنين قوة قدسية تترك فيها حين تلاوته أثرا لا تتركه في قلوب الشاكين في أصل العقيدة الدينية أو المنكرين لها. [٣] ونحن نؤمن بهذا اللون من المعجزات عن طريق العقل، والعقول متفاوتة، منها النقي ومنها العكر، وبالتالي تختلف عقول الناس في الإقرار بها، فالمؤمن حينما يشاهد المعجزة يزداد إيمانا، وأما الذي في قلبه نفاق وحرص فيزداد كفرا ونفاقا، لأنه أدرك حقيقة المعجزة فلم يؤمن بها "**وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟**

(١) الاعجاز التأثيري في القران ص٣٦٥ بتصرف، د/ زياد عواد أبو حماد.

(٢) تفسير أبي السعود " إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم "ج٨ ص٢٣٣.

(٣) فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر ص ٣٤.

فَزَادَتْهُم إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ" [التوبة:١٢٤، ١٢٥]، يقول ابن كثير: أَيْ: زَادَتْهُمْ شَكًّا إِلَى شَكِّهِمْ، وَرَيْبًا إِلَى رَيْبِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **"وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا"** [الْإِسْرَاءِ:٨٢]، وَقَالَ -عَزَّوَجَلَّ-: **"قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ"** [فُصِّلَتْ:٤٤]، وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ شَقَائِهِمْ أَنَّ مَا يَهْدِي الْقُلُوبَ يَكُونُ سَبَبًا لِضَلَالِهِمْ وَدَمَارِهِمْ، كَمَا أَنَّ سَيِّئَ الْمِزَاجِ لَوْ غُذِّيَ بِمَا غُذِّيَ بِهِ لا يزيده إلا خبالا ونقصا.[(١)] يقول الشيخ الغزالي: فما أظن امرأ سليم الفكر والضمير يتلو القرآن أو يستمع إليه، ثم يزعم أنه لم يتأثر به. قد تقول ولمَ يتأثر به؟ والجواب أنه ما من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من ناحية الحقائق الدينية إلا ويعرض القرآن له بالهداية وسداد التوجيه. إن القرآن بأسلوبه الفريد يرد الصواب إلى أولئك جميعا وكأنه عرف ضائقة كل ذي ضيق وزلة كل ذي زلل، ثم تكفل بإزاحتها كلها، والمنكرون لهذا النوع لا يطعنون في التأثير النفسي للقرآن كما أن العميان لا يطعنون في قيمة الأشعة **"ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ"** [الزمر:٢٣].[(٢)] وسواء أقرت تلك العقول أو لم تقر فالقرآن هو المعجزة العقلية الخالدة.

٢- **انعدام الحيدة والإنصاف:** وذلك إما جحودا، وإما عبودية فكرية، فما سمعه منصف إلا وانتهى به إلى الإيمان.

وإن كان الجاحدون يستنكرون تأثيره لما في نفوسهم، إلا أنه ليعد من الدليل على تأثير القرآن؛ لأنهم يستثقلون سماعه ويتولون عنه مدبرين **"وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا"** [الإسراء:٤١]، **"وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا"** [الإسراء:٤٦].[(٣)] فالجاحد يأنف أن

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) ج٤ / ٢٣٩، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

(٢) نظرات من القرآن للشيخ محمد الغزالي ص ١٠٥، ١٠٦ بتصرف.

(٣) المعجزة الخالدة، د. حسن ضياء الدين عتر ص ٣٤١.

يظهر عليه تأثير، أو أن يترك نفسه له، لكن الله غالب على أمره.

أما عن العبودية الفكرية: فالانقياد الأعمى وراء الأفكار المشوشة سواء كانت موروثة أم ذاتية، يعتم مرآة الفطرة فلا يتركها تتأثر ولا تذوق إلا ما أشرب منه هوى النفس. يقول د. نبيل عبد السلام هارون في حديثه عن الإقناع العقلي: العقل المخاطب بالدعوة هو العقل الحر الذي يوازن بين الحق والباطل، بين الصدق والزيف، متحررا من كل المؤثرات النفسية والاجتماعية والعاطفية، التي كانت وما زالت تستعبد البشر، وتلغي عقولهم في كثير من المجتمعات والعقائد، فالإسلام ليس انتماء أعمى وانقيادا مستكينا لطائفة أو كهنوت، أو جنس أو قبيلة، بل يؤكد ويلح على رفض الاتباع المنقاد للآباء والأجداد وكهنة الأديان، وأهل الاستبداد. [١] فروحانية القرآن هي التي صاغت النفوس البشرية وتركت فيها بصمات واضحة لا ينكرها إلا من أعمى الله بصيرته.[٢] وسنرى كيف أدت العبودية الفكرية عند الحداثيين إلى رفض كل ذلك.

٣- **قسوة القلب بسبب المعصية:** فالكيان الإنساني إذا صفا يهتز ويرتجف أمام القرآن، فكلما تفتح القلب، وصفا الحس، وارتفع الإدراك، ارتفعت حساسية التلقي والاستجابة. إذن كل هذا الذي أوضحناه من الوجوه المختلفة للإعجاز في هذا الكتاب الربّاني لا يتجلّى شيء منه إلا لقلب لم تخنقه أغشية الكبر والعناد، فأقبل إلى القرآن يتأمله متجردا عن أي عناد أو أسبقية إلى ضلالة عاهد نفسه أن لا يتحول عنها. فمن ران على قلبه الكبر والعصيان، ومرّ بالقرآن على هذه الحال، فقد لا يتنبه إلى شيء مما ذكرنا ولا يتأثر به، وإن نُبه ونُصح، كيف وهو الذي يقول القرآن في حقه وحق أمثاله: "**وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**" [الإسراء:٨٢]. [٣] نسأل الله -عَزَّوَجَلَّ- أن يلهمنا الحق والرشد، وأن لا يصدّنا بفعل شهواتنا وأهوائنا عن

---

(١) البرهان العلمي للإسلام ص ١٢، د. نبيل عبد السلام هارون، ط: الثانية ١٤١٧-١٩٩٦، ط: دار النشر للجامعات بالقاهرة.

(٢) الوحي المحمدي ص ١١٦، لمحمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤ هـ)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(٣) من روائع القرآن للبوطي ص ١٦١. الإعجاز التأثيري في القرآن لعصام العبد زهد ص ٩٥.

الحق الذي أنزله، إنه على كل شيء قدير.

٤- **عدم التدبر أو قلته:** فإن من أول مقاصد القرآن فهمه وتدبره والعمل به، وهنا تأتي المشكلة الكبرى، ألا وهي ما وصلنا إليه من مرحلة الضعف اللغوي. فحين فرط المسلمون في لغة القرآن الكريم، أصبحوا لا يفهمون كلمَه، ولا يدركون حكمَه، ولا يتبعون أخلاقه وشيَمه؛ وصاروا إلى ما هم عليه من عربية كانت شراً من العجمة الخالصة واللكنة الممزوجة، فلا يقرءون هذا الكتاب إلا أحرفاً. ولا ينطقون إلا أصواتاً، وتراهم يرعونه آذانهم وهم بعدُ لا يتناولون معاني كلام الله إلا من كلام الناس، وفي هؤلاء الجاهلُ والفاسق والوضَاع والقصاص وذو الغفلة والمتهم في دينه وفهمه[١]. وإذا كان كذلك فأن أقلها معرفة الغريب من الكلمات فعدم معرفته سبب للوقوع في الوهم والخطأ، وقد يكون هذا التأثر إن لم يعرف المعنى الصحيح يفتح أبوابا لا علم للمتأثر بها، فضبط هذه الكلمات وسيلة مهمة لفهم عامة الكلمات وربطها ببعض، وطريق قوي لفهم المعنى الإجمالي للآية.[٢] فالمتلقي دائما يحتاج إلى بعض الأدوات اللغوية والمعرفية مما يعينه على معرفة قصد المتكلم وإلا غاب عنه هذا القصد.[٣] أما عن قواعد اللغة وهذه الأزمة كما تصفها بنت الشاطئ في كتابها حين تقول: ليست عقدة الأزمة في اللغة ذاتها؛ العقدة فيما أتصور هو أن أبناءنا لا يتعلمون العربية لسان أمة ولغة حياة، وإنما يتعلمونها بمعزل عن سليقتهم اللغوية، قواعد صنعة وقوالب صماء تجهد المعلم تلقينا والتلميذ حفظا دون أن تكسبه ذوق العربية ومنطقها وبيانها.[٤]

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص٧٥ بصرف واختصار.

(٢) كتب الغريب وأثرها في فهم القرآن ص ٣٧٧ وما بعدها بتصرف، بحث للدكتور راشد بن حمود بن راشد التغيان، كلية التربية بالزلفى، جامعة المجمعة بالسعودية.

(٣) أصول البيان في فهم الخطاب القرآني وتأويله (أعمال الندوة الأولى لمركز ابن أبي الربيع السبتي للدراسات اللغوية والأدبية) كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتصوان ١٤٣٧-٢٠١٥، ط: دار الإمام بالمغرب.

(٤) لغتنا والحياة ص ١٨٧، د. عائشة عبد الرحمن، ط: دار المعارف، ط: الثانية، بدون.

المطلب السادس

عوامل تزيد من الأثر النفسي للقرآن الكريم

١- **صفاء العلاقة بين المتلقي والنص**: قد ذكرت سابقا ما السر في عدم التأثر، فهنا على العكس، فهذه العلاقة التي تتناسب طرديا في إدراك المعنى، فكلما كانت العلاقة إيجابية كان القبول النفسي للمعاني أكثر، والعكس في العلاقة السلبية. فعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا.

ولا عيب أبدا في كتاب الله -عَزَّوَجَلَّ-، اللهم إلا إن كان قصورا من المتلقي ناتج عن بعد علاقته بالقرآن الكريم.

٢- **الصوت الجميل في القراءة:** أخرج الإمام مسلم بسنده عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- لِأَبِي مُوسَى: "لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ" ومعنى (لو رأيتني وأنا أستمع) أي لأعجبك ذلك.[1] وإن كان هذا العنصر يتعلق بصوت المتكلم، إلا أن للقرآن خصوصية في الأداء، ولكيفيته هذه مصطلح خاص به وهو الترتيل وهو الترسل والتبيين في القراءة وذلك بأن يبين جميع الحروف ويوفيها حقها، والترتيل هو القراءة المسموعة التي يلتقي فيها على نحو فريد الصوت مع الدلالة حيث نتمكن من خلالها تبين الدلالات والإيحاءات الخفية التي تبعثها الحروف والمقاطع على اختلافها نوعا وكمًّا، وهي في حال من التحقق الذي به يتجسد المعنى، وعلى قدر علم القارئ أو إدراكه وعلى قدر صفاء نفسه وإخلاصه الروحي تتحدد درجة اللقاء بينه وبين ما يقرأ، وهذا هو المزج بين المادي والروحي، فإذا وصل القارئ إلى كمال الترتيل وهو يمثل ذروة التفاعل بين المرتل والنص أن يجسد المعنى، فإذا كان المقروء تهديدا أشعر السامع بذلك، وإذا كان تعظيما لفظ به على التعظيم، وقلبه منشغل بما يقرأ متفكر فيما يتلو فهو بذلك يمثل التعانق الروحي بين القارئ والمقروء، وتنصهر المادة المقروءة بالروح القارئة، فيغدو كل ترتيل ضربا من

---

(١) صحيح مسلم كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ اسْتِحْبَابِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، ح رقم ٢٣٦ - (٧٩٣)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

السباحة الروحية التي تنكشف بها طبقات الدلالة، وهذا فارق بين الروحية المنسابة والآلية التي تخضع لشرائط تقنية صارمة فقط، ولا شك أن تركيز علماء القرآن على الوحدات الصوتية دليل على عنايتهم الفائقة بالقيم الإيحائية التي ينتجها الأداء الدقيق لأصوات النص، ودور هذه الأصوات في إنجاز الدلالة وتمييز مستويات التلقي.(١) ولو كان القرآن ككتب القوانين والفنون لما كان لتلاوته كل ذلك التأثير في قلب الطباع، وتغيير الأوضاع، بل لكانت تلاوته تمل فتترك.(٢)

٣- **التدبر:** وقد سبق الحديث عنه في أسباب عدم التأثر، والمشكلة الكبرى في الضعف اللغوي.

٤- **الترغيب والترهيب:** نظر القرآن إلى الإنسان نظرة شاملة واعية، تعرف تكوينه وتحدد مفهومه ومقوماته، نظر إليه بجوهره الكامل في أعماقه من حيث هو إنسان، وخاطبه بكل الوسائل النفسية وغير النفسية ليصل إلى عقله وقلبه، وإذا نظرنا بتدبر نجد أن وسائله النفسية تتجه إلى النفس البشرية في اتجاهين أساسين الترغيب والترهيب، وبهما يؤثر تأثيرا قويا في كل أنشطتها، فالقرآن يربط توجيهاته كلها – أوامره ونواهيه – بهذا الخط النفسي أو ذاك مجتمعين، ويكرر ذلك تكرارا حتى تتلازم في أعماق النفس، مما يصبح قوة شعورية ولا شعورية، توجه الإنسان إلى الخير وتبعده عن الشر فالخوف والرجاء بقوتهما واختلاطهما بالكيان البشري كله يوجهان اتجاه الحياة ويحددان للإنسان أهدافه وسلوكه ومشاعره وأفكاره، فعلى قدر ما يخاف وقوع ما يخاف، وعلى قدر ما يرجو حدوث ما يرجو، يتخذ لنفسه منهج حياة، ويوفق بين سلوكه وما يرجو وما يخاف، ويتحكم القرآن في النفس البشرية بهذين الخطين الرجاء والخوف، فيوقع على هذين الوترين ما يربي النفس ويشفيها من انحرافها، ويضعها في وضعها الصحيح، فينفض عنها كل خوف فاسد، وكل رجاء منحرف، ينفض من وتر الخوف أولا كل ما يرهق كاهل الإنسان من مخاوف زائفة، ينفض عنه الخوف من الموت

(١) النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ص١٣٩: ١٤٢ بتصرف واختصار، د محمد عبد الباسط عيد، مكتبة الآداب بالقاهرة، ط: الأولى ١٤٣٠/٢٠٠٩.

(٢) الوحي المحمدي ص ١١٦.

فهو لا يغير شيئا من المقدر هو إذن أمر لا يليق، إنه تبريد للطاقة، وتدمير للكيان بلا نتيجة.(١)

وفيما ذكر ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مثال حي لذلك عند قوله -عَزَّوَجَلَّ- "**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**" [التوبة:٦٥،٦٦] قَالَ عِكْرِمة فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَفَا عَنْهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْمَعُ آيَةً أَنَا أعنَى بِهَا، تَقْشَعِرُّ مِنْهَا الْجُلُودُ، وتجيب مِنْهَا الْقُلُوبُ، اللَّهُمَّ، فَاجْعَلْ وَفَاتِي قَتْلًا فِي سَبِيلِكَ، لَا يَقُولُ أَحَدٌ: أَنَا غُسِّلْتُ، أَنَا كُفِّنْتُ، أَنَا دُفِنْتُ، قَالَ: فَأُصِيبَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَمَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا وَقَدْ وُجِدَ غَيْرُهُ.(٢)

فقد غير القرآن بأسلوبه حياته بعد أن كان منافقا.

٥- **الثقافة والخبرة الحياتية:** وهذا أمر متعلق بالمتلقي، فالناس ليسوا سواء في تجاربهم في الحياة، وصعوبة الفهم ليست راجعة في الحقيقة إلى غرابة اللفظ ووعورة التركيب، وإنما بسبب نقص الرصيد من التجارب الحسية والذهنية والروحية.

(١) مباحث في إعجاز القرآن ص ٤٦: ٤٨ بتصرف، د/ أحمد جمال العمري، ط: مكتبة الشباب، بدون.
(٢) تفسير ابن كثير ج٤ ص ١٧٢.

المبحث الثاني

مظاهر التأثير النفسي للقرآن الكريم بين النفي والإثبات

المطلب الأول

العلمانيون[١] والحداثيون[٢] وروحانية القرآن الكريم

دائما ما عمد الحداثيون والعلمانيون إلى زحزحة المعتقدات والثوابت، وخلخلة القناعات، وانتهاك المحرمات والتمرد على الرقابة الاجتماعية، وإعادة النظر في كل المسلمات التراثية والعقائد الدينية؛ وذلك لأنها – في نظرهم - تتغير على الدوام بتقدم العقل البشري[٣]، ومن أهم هذه الثوابت والأصول القرآن الكريم، فكان هدفهم دائما نزع القداسة عنه، والقول بأن قداسة القرآن فعل اقترفه علماء الإسلام ليرغموا الناس على التعامل مع ما فيه بالتصديق المطلق والتسليم التام، وهي دعوى دون برهان.[٤] فيذكر د. نصر أبو زيد أن المتدينين يعطون في مناهجهم الأولوية للحديث عن الله والنبي ثم ينزلون بعدها إلى الواقع، فهو منهج تأملي وعظي ذو إجابات جاهزة يُغفل الواقع ويقفز على التاريخ تحت تأثير دوامة التشويش الأيديولوجي، فهم يمارسون دور السحرة والمشعوذين الذين لا هم لهم إلا إدهاش الآخرين ونيل إعجابهم بما يرددونه عليهم من

---

(١) من أفضل التعريفات التي وجدتها للعلمانية مما يتفق مع ما نحن بصدده: أنها رؤية مادية بحتة للوجود بما فيه. العلمانيون والقرآن الكريم " تاريخية النص " د/ أحمد ادريس الطعان ص ٢٨٠، كلية الشريعة بدمشق، ط: دار ابن حزم بالسعودية، ط: الأولى ١٤٢٨ -٢٠٠٧.

(٢) الحداثة: تيار فكري ذو مفاهيم فلسفية تقوم على رفض الماضي تراثا، وقيما، ومبادئ؛ ليبني مرجعية جديدة ترتكز على العقل وتقديس الإنسان في عملية التحديث التي ينتهجها، وذلك في تمحور شديد حول الذاتية الفردية والقيم النفعية. التوظيف الحداثي لآيات المرأة وإشكالياته " جمال البنا" نموذجا ص٢٥، د. كفاح كامل أبو هنود، ط: الفاروق بالأردن، ط: الأولى ١٤٣٣ -٢٠١٢.

(٣) العلمانيون والقرآن الكريم للطعان ص ٧٥٣.

(٤) ظاهرة إهدار السياق في الخطاب الحداثي دراسة تحليلية نقدية ص ٧٦، د/ سعد بن مقبل بن عيسى الحريري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث بالسعودية، ط: الأولى، ١٤٢٣٧- ٢٠١٦، التوظيف الحداثي لآيات المرأة وإشكالياته ص ٦٧.

مقولات حفظوها عن القدماء.[١] ونجدهم تارة يدعون أنه من كلام بشر، وتارة يقولون إنه من صياغة الواقع، نافين عنه الإلهية، عبارات مختلفة ونتيجة واحدة وهي إنكار الوحي، بل لقد عمل الحداثيون على استبعاد المفهوم والتصور السائد عن القرآن الكريم واستبداله بتصور يتماشى معهم، فقد غيروا على المستويين المعرفي والبنيوي:

- على المستوى المعرفي لم يعد القرآن ذا مصدر إلهي؛ لأن ذلك يتعارض حسب رأيهم مع منهج البحث العلمي، فهو نتاج تاريخي تضافرت على تأسيسه مجموعة عوامل سياسية واجتماعية، وهو نتاج تجربة فردية قام بها محمد في إطار زمن ومكان محددين أدى فيه التاريخ دورا مهما في توجيه فكر الفرد يقصدون النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.[٢] وحسب هذه الرؤية ذات النزعة المادية التاريخية أن القرآن نتاج بشري، فالقرآن وفق نظرتهم المادية هو مجرد آمال وأحاسيس العرب التي حبلت بها الأيام وأرقت عقلائهم إلى أن جاء محمد برهافة حسه وحنكته وخبرته وعبقريته وخياله الخصب فترجمها في نص أدبي رائع قابل للنقد والدراسة. فبذلك يرفض أبو زيد أن يكون القرآن أنزله الله على نبيه لهداية الناس دون إرادتهم ويتهكم على ذلك قائلا:" إن هذا التصور يجعل النص معطى سابقا كاملا مكتملا فُرض على الواقع بقوة إلهية لا قبل للبشر بها.[٣]

وإذا نظرنا إلى هذه الدعاوى الزائفة والأوهام الفاسدة التي أسس عليها الحداثيون نظرتهم للنص القرآني نجد أنه يترتب عليها نتائج خطيرة، لعل أهمها على الإطلاق تغييب المرجعية التي يستند إليها عقل المسلم ووجدانه في تلقي معتقداته

(١) مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد أبو زيد ص ٢٦، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء المغرب ط: الأولى ٢٠١٤، الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة و القرآن الكريم دراسة نقدية ص ٧٧ وما بعدها بتصرف واختصار، تأليف د/ الجيلاني مفتاح، الجامعة العالمية بماليزيا، ط: دار النهضة بدمشق، ط: الأولى ١٤٢٧-٢٠٠٦.

(٢) تاريخية الفكر العربي الإسلامي لمحمد أركون ص ١٦ لمحمد أركون، ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء المغرب ط: الثانية ١٩٩٦، الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم دراسة نقدية، ص ٧١ وما بعده بتصرف واختصار.

(٣) مفهوم النص ص ٦٧، الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم دراسة نقدية ص٨٤.

وتصوراته[١]. وأن هذا التصور الحداثي للقرآن لا يعدو في أحسن أحواله أن يجعله مجرد نص أدبي رفيع.[٢]

- أما على المستوى البنيوي (المضمون والحقيقة) فنظرتهم للقرآن لا تختلف عن أي نص أدبي آخر، فشأنه شأن أي خطاب بشري خاضع عندهم للنقد والدراسة على أساس أنه منتج ثقافي، وهذه قضية عندهم من البدهيات التي لا تحتاج إلى إثبات.[٣] وعلى هذا فإن القرآن بهذه الصيغة البنيوية يفقد أولى خصائصه الكريمة، وهو أنه كلام الله المعجز، ومن ثم يُعد كل الذي قيل حول إعجازه بيانيا أو تشريعيا أو علميا ضرب من ضروب اللغو الذي لا طائل من ورائه، وهي دعوى تمهد الطريق أمام هدم منهجي منظم لمنزلة القرآن ابتداء، ثم لفصل القرآن في الحياة انتهاء.[٤] وقد فعلوا ذلك لأنه لا سبيل عندهم إلى تحقيق أملهم إلا التخلص من سلطة النصوص والتحرر من قال الله وقال الرسول؛ لأن هذه السلطة –حسب زعمهم- تلغي العقل وتجعله لا يفكر إلا انطلاقا من أصل أو انتهاء إليه أو بتوجيه منه.[٥] وذلك لما للقرآن من هيبة ووقار وذلك لأن الخطاب القرآني بنظرهم يعلن الحقيقة المطلقة عن العالم والمخلوقات والتاريخ بكل الهيبة والسيادة الخاصة بمؤلفه الله الواحد الأحد المهيمن الجبار.[٦]

من خلال هذه النواتج التي ترتبت من العنصرين السابقين يتضح لنا جليا موقف الحداثيين من تأثير القرآن الكريم، فموقفهم مختلف حتى عن أعتى الناس كفرا ونفاقا؛ إذ ينظرون إلى هذا الأمر على أنه نوع من الاحتيال والاستيلاء على العقول، ويمكن تلخيص رأيهم عن ذلك في النقاط الآتية:

---

(١) التوظيف الحداثي لآيات المرأة وإشكالياته ص ٨٣.

(٢)- الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم دراسة نقدية ص ٨٥.

(٣) مفهوم النص ص ٥٧، ٢٤، الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم دراسة نقدية ص ٧٦ وما بعده بتصرف واختصار.

(٤) التوظيف الحداثي لآيات المرأة وإشكالياته ص ٦٤.

(٥) العلمانيون والقرآن الكريم للطعان ص ٧٥٥.

(٦) الاسلام والأخلاق والسياسة لمحمد أركون ص ٢٢، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي بيروت – باريس، ط: أولى ١٩٩٠، العلمانيون والقرآن الكريم للطعان ص ٧٦٠.

- أن روحانية القرآن الكريم إحدى الوسائل المستخدمة في إضفاء الألوهية وتغطية الجانب البشري على القرآن الكريم: يقول أركون: إن الخطاب القرآني والنطق القرآني ليس عبارة عن تدفق شاعري غنائي ذاتي، وليس عبارة عن سرد تاريخي على طريقة المؤرخين، وليس عبارة عن تأمل منطقي منهجي لمفكر متفلسف ومحلل، وإنما هو شيء آخر، إنه خطاب ينبجس ويتفجر خلال عشرين عاما من العمل التاريخي المحسوس الذي عاشه النبي وجماعته الأولى، وفيه نلمح آثار التردد والشك والنصر والهزيمة...الخ ولكنه استطاع أن يتوصل إلى خلع رداء التصعيد والتسامي والروحانية والتعالي على كل مغامرات ومراحل ذلك النضال التاريخي الذي انتهى أخيرا بالنصر.[١]

فالقرآن يقوم بعملية خلع التعالي على أحداث تاريخية حصلت في زمن النبي، ولكنها حورت من قبل الخطاب القرآني لكي تتخذ دلالة كونية تتجاوز خصوصيتها المحلية وتتخذ صفة الكونية، وأن القرآن يمحو المعالم المحسوسة والإشارات التاريخية الدقيقة من طريق أسلوب التسامي والتصعيد وإسباغ الروحانية الدينية والكونية على مفردات ذات مضمون اجتماعي وسياسي وقانوني في الأصل، وبذلك نجح القرآن أن يكون خطابا كونيا موجها للبشر في كل زمان ومكان، وكأنه خارج التاريخ أو يعلو عليه [٢].

- قدسية القرآن وجلاله أمر مستمد من بلاغته التي أخذت جانبا كبيرا من الاهتمام، والتي هي إحدى السبل أيضا في التغطية على أرضيه: فنجد أركون يريد أن يقف ويتصدى للقرآن لأن النصوص جميعا سواء في ممارسة الحجب والمماثلة والألاعيب والمراوغة، وهو يريد تشكيل معرفة معادية لذلك ظنا منه أن التقديس للقرآن كان بسبب هذه البلاغة القرآنية في التغطية على أرضيته. [٣] كما يلاحظ أن الخطاب القرآني قد صيغ أو ركبّ لغوياً بصفته جهداً ذاتياً مبذولاً لرفع نفسه الى

(١)- الإسلام والاخلاق والسياسة لمحمد أركون ص ٣٠.

(٢) نقد النص لعلي حرب ص ٦٥بتصرف، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء المغرب ط: الرابعة ٢٠٠٥، العلمانيون والقرآن الكريم للطعان ص ٧٦٠-٧٦١.

(٣) نقد النص لعلى حرب ٢٠٣، تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص ١٢، العلمانيون والقرآن الكريم للطعان ص ٧٦١.

مستوى كلمة الله الموحى بها، هذا في حين أن المعارضين المكيين كانوا يرفضونه بوصفه كذباً، نحن نقول اليوم بأنه كلام ذو سلطة مشابهة لسلطة العديد من الأقوال الأخرى السابقة التي شهدتها منطقة الشرق الأدنى [١].

- **قدسية القرآن مستمدة من بعض الشعائر والطقوس وليست أمرا ذاتيا :** فالقرآن عندهم قدس أو خلعت عليه أسدال التقديس بواسطة عدد من الشعائر والطقوس والتلاعبات الفكرية الاستدلالية[٢]. فقداسة القرآن عنده ليست أصيلة وإنما دخيلة، وليست جوهرية وإنما سطحية، وليست حقيقية وإنما هي مصطنعة، حصلت لأسباب سياسية وثقافية وتلاعبات فكرية.

- **سيطرة القرآن على العواطف وضربه على وترها إزاحة للموضوعية، وجرٌّ للخرافة والأسطورة، وحبس للعقل والفهم :** فالقرآن بنظرهم يسيطر على عواطف الناس وعقولهم ويزيح الموضوعية مقدما، ويطالب بالتسليم المطلق، ويستولي على مشاعر القارئ والسامع بحيث يحاصره في سلفوية ماضوية فيفصل الواقع عن الإنسان ويصبح المثال بدل الواقع، وتغلب التأثر بالعاطفة على الفهم والعقل[٣]، فهم يريدون التعامل مع القرآن ليس على أنه كلام آت من السماء وإنما على أنه حدث واقعي تماما كوقائع الفيزياء والبيولوجيا فيدرس كنص فقط دون اعتبار لبعده الإلهي؛ لأن الإيمان بوجود ميتافيزيقي[٤] سابق على النص يعكر كون النص منتجا ثقافيا ويعكر الفهم العلمي له، كما أن كل حديث فيه يجرنا إلى دائرة الخرافة والأسطورة، وأن التركيز على ألوهية مصدر النص ليس له مبرر إلا سيطرة

---

(١) القران من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب، لمحمد أركون ص ٢١، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة بيروت ط: الأولى ٢٠٠١.

(٢) المرجع السابق ص ٢٥.

(٣) النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة ص ٥٨، ٥٩، لطيب تيزيني، ط: دار الينابيع بدمشق ١٩٩٧م، العلمانيون والقرآن الكريم للطعان ص ٧٦٢.

(٤) ميتافيزيقا، ما وراء الطَّبيعة، أمور غيبيّة لا تخضع للحسّ أو الرُّؤية، تقابل الحسّيّات. معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) ج٣ ص ٢٠٦٢ مادة " م ا و ر ا ء ي ي ا ت "، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

قوى التخلف والرجعية على واقع المجتمعات الإسلامية، وذلك ضد تحرير العقل،[١] فمن هنا تكون الدعوة الى التحرر من سلطة النصوص هي في حقيقتها دعوة الى التحرر من السلطة المطلقة والمرجعية الشاملة للفكر الذي يمارس القمع والهيمنة والسيطرة حين يضفي على النصوص دلالات ومعاني خارج الزمان والمكان والظروف والملابسات[٢]. يقول د/ حسن حنفي: مهمة التراث والتجديد التحرر من السلطة بكل أنواعها، سلطة الماضي وسلطة الموروث، فلا سلطان إلا للعقل، ولا سلطة إلا لضرورة الواقع الذي نعيش فيه، وتحرير وجداننا المعاصر من الخوف والرهبة والطاعة للسلطة سواء كانت الموروث أو سلطة المنقول.[٣]

- **وصفهم الخطاب القرآني بأنه أسطوري يميل إلى التهويل والتضخيم:** وإن كان الحداثيون قد وصفوا القرآن بما ذكرت من قبل نافين تأثره وروحانيته وأنها نوع من التدليس والتلاعب بالعقول، وأنه نصوص بشرية فإن الأمر يزداد سوءا وبجاحة عندما يصفون القرآن الكريم وما له من جلال وجمال وصدق بأنه أسطورة، حتى ولو كان مرادهم بالأسطورة -حسب وصفهم- هي التهويل والتضخيم لا الخرافة:

يقول أركون: إن الحكايات التوراتية والخطاب القرآني هما نموذجان رائعان من نماذج التعبير الأسطوري. هكذا نلاحظ كيف أن العمل الاجتماعي التاريخي الذي أنجزه النبي في مكة والمدينة كان مصحوباً دائماً بمقاطع من القرآن، أي بخطاب ذي بنية أسطورية. [٤] وفي تبريره لقوله أسطورة يقول:" ينبغي على القارئ العربي ألا يفهم من

---

(١) النص، السلطة، الحقيقة، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة ص ٩٢، د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء المغرب ط: الأولى ١٩٩٥، مفهوم النص له أيضا ٢٧: ٣٠، العلمانيون والقرآن الكريم للطعان ص ٧٦٣.

(٢)الإمام الشافعي وتأسيس الأيدلوجية الوسطية ص ٢٦، نصر حامد أبو زيد، مكتبة مدبولي، ط: الثانية ١٩٩٦.

(٣) التراث والتجديد "موقفنا من التراث القديم" لحسن حنفي ص ٥٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط: الرابعة ١٤١٢-١٩٩٢.

(٤) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص ٢١٠.

استخدامنا الغزير لكلمة أسطورة أو وعي أسطوري أنا نقصد الأكاذيب والخرافات التي لا أساس لها من الصحة أو لا وجود لها. وإنما نقصد التركيز على أهمية البعد النفسي أو الخيالي الذي يميل الى المبالغة والتضخيم في حياة الأفراد والجماعات. إنه موجود وفعال ومجيش للجماهير خصوصاً في المجتمعات البدائية والمتخلفة.[١] لكن كلامه نفسه ينقده كلام له في موضع آخر، فهو يعتبر القرآن الكريم أسطورة تحتوي على قليل من الحقيقة مع كثير من نسج الخيال، حيث يقول: التعريف الأنثروبولوجي[٢] الحديث الذي يعتبر أن كل أسطورة تحتوي على جزء ولو ضعيف من الحقيقة، ثم يكبرها الخيال وينميها. إذن الأسطورة غير الخرافة، وينبغي منذ الآن فصاعداً أن نميز بينهما في اللغة العربية الحديثة. فالأولى لها نواة في الوجود والواقع في حين أن الثانية مختلقة تماماً، كما أن الأسطورة مرتبطة بالمجاز وتحريك المشاعر نقول لغة أسطورية أو شعرية أو دينية.[٣] وعلى كل فإن القرآن الكريم بحسب الفكر الحداثي هو أسطورة محفوفة بكثير من التهويل لا يعبرّ عن حقيقة إلاّ في جزء بسيط منه تراكمت حوله الحكايات فأشبه سائر الأساطير التي قد تكون في الأصل حقيقة وتراكمت عليها الحكايات فصنعت منها أسطورة.

يقول د. نصر حامد ابو زيد: ولا شك أن النصوص الدينية اعتمدت شأنها شأن غيرها من النصوص على جدلية المعرفي التاريخي في صياغة عقائدها، الذي يحيل بالضرورة الى كثير من التصورات الأسطورية في وعي الجماعة التي توجهت لها النصوص بالخطاب.[٤] كما يقول أيضا:" ما زال الخطاب الديني يتمسك بفهم حرفي للنص، وما زال يتمسك بصورة الإله الملك بعرشه وكرسيه وصولجانه ومملكته وجنوده الملائكة،

(١) المرجع السابق ص ٣٥.

(٢) الأنثروبولوجيا: العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكًا محّددًا؛ وهو أيضا العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدًا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل. مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) دراسة ص ١٣، ١٤، د/ عيسى الشماس، منشورات اتحاد الكتاب العربي بدمشق ٢٠٠٤.

(٣) تاريخية الفكر العربي الإسلامي لمحمد أركون ص ٢١١.

(٤) النص، السلطة، الحقيقة ص ١٣٥ بتصرف.

وما زال يتمسك بالدرجة نفسها من الحرفية بالشياطين والجن، والسجلات التي تدون فيها الأعمال، والأخطر من ذلك تمسكه بحرفية صور العقاب والثواب وعذاب القبر ونعيمه ومشاهد القيامة والسير على الصراط.. إلى آخر ذلك كله من تصورات أسطورية[١].

أقول: إن الحدثيين بكلامهم هذا عن كتاب الله -عَزَّوَجَلَّ- يجعلونه لا يفقد روحانيته وتأثيره فقط، بل يفقد قيمته واعتباره، فلا وحي إلهي، ولا تقديس، ولا معانٍ عليا، ولا تشريعات خالدة، بل لا يعدوا أكثر من كونه مواعظ إنسانية عامة حشدت في هيئة أساطير جاذبة للعقل العربي المتخلف في حينها، أما نحن الآن فنعيش عصراً آخر، وثقافة أخرى، لا تعترف إلا بكل مادي، وتتنصل عن كل إحساس، فاللهم لا حول ولا قوة إلا بك.

يقول القاضي عياض: من إعجاز القرآن روعته في السمع وهيبته فِي الْقُلُوبِ الَّتِي تَلْحَقُ قُلُوبَ سَامِعِيهِ وَأَسْمَاعَهُمْ عِنْدَ سَمَاعِهِ، وَالْهَيْبَةُ الَّتِي تَعْتَرِيهِمْ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ لِقُوَّةِ حَالِهِ وعلو مرتبته، وَهِيَ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ بِهِ أَعْظَمُ، حَتَّى كَانُوا يَسْتَثْقِلُونَ سَمَاعَهُ وَيَزِيدُهُمْ نُفُورًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى "**وَإِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً**" [الاسراء: ٤٦]، وَيَوَدُّونَ انْقِطَاعَهُ لِكَرَاهَتِهِمْ لَهُ، وَلِهَذَا قَالَ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-"إِنَّ الْقُرْآنَ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ عَلَى مَنْ كَرِهَهُ وَهُوَ الْحَكَمُ".[٢]

"**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى**" [النجم: ٢٣].

الغرض من ذلك كله: إقصاء كتاب الله -عَزَّوَجَلَّ-عن الحياة وفصله عنها؛ فقد علمنا من تعريف العلمانية أنه تقوم على إبعاد الدين عن شؤون الحياة وإدارتها على أساس قيم وقوانين دنيوية محضة، لذا فقد اتفق أصحاب التيار الحديث من العلمانيين مع أسلافهم على ضرورة تنحية القرآن وأحكامه عن حياة الناس، وإيقاف

---

(١) النص السلطة، الحقيقة "الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة" ص ١٣٥بتصرف.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ) ج١ ص ٥٢٩ بتصرف، دار الفيحاء – عمان، ط: الثانية - ١٤٠٧ هـ

تأثيره الرباني عليهم وإفساد ثمار اتباعه المبارك، ولكنهم افترقوا في أسلوب الطرح، استخدم القدامى الصراحة، أما تلاميذهم فاستخدموا التمويه، وذلك بتخدير العواطف أولا بإنشاء المؤتمرات والندوات والتباكي على القرآن وإساءة فهمه، ثم طرح حلول لما أثاروا من مشاكل مدعين الفهم الحقيقي للقرآن الكريم فإذا بهذه الحلول هي عين العلمانية وهو ادعاء أن الفهم الحقيقي للقرآن الكريم هو ترك الدنيا للناس يديرونها كيف شاءوا، ولم يُلزم الناس إلا بالعبادات المحضة فقط، وبالتالي فهم يصلون إلى أسس المبدأ العلماني ولكن باسم الإسلام. يقول د. نصر حامد أبو زيد:" آن الأوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر لا من سلطة النصوص وحدها، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا. ويقول أيضا: إن حل مشكلات الواقع إذا ظل معتمدا على مرجعية النصوص الإسلامية يؤدي إلى تعقيد المشاكل. وفي مقال لأحمد عبد المعطي حجازي: وما زلنا نشكك في كفاءة العقل ونحارب التفكير الحر ونلجأ إلى الأمر والنهي ونرتعد من النقد ونرفض المناقشة.[١]

أما الرد على ذلك:

لقد حث القرآن على التدبر، كما ذكر أيضا ما وُجه إليه من انتقاد بأنه سحر أو شعر أو كهانة، وتعلَّم المسلمون من كتابهم كيفية النقد، فما من مفسر إلا ويقارن، ويحل المشكلات ويرد على الاعتراضات، لكن النقد العلماني حتى يكون نقدا يجب أن يخرج بنتائج مناقضة للقرآن وتعاليمه، فكل نقد يرسخ المعاني القرآنية ويؤكدها هو نقد تقليدي تبجيلي، أما النقد الذي يرفض بعض العقائد القرآنية أو يسخر منها أو يستهزئ بالقرآن فهو الذي يسمى نقدا تنويريا. ولابد هنا من القول بأن عملية الحياد غير ممكنة لأن الحياد والموضوعية تابعان للاعتقاد ولا يخلو إنسان منه، فلا يمكن لإنسان أن ينتقد القرآن ويخرج بنتائج تعارض تعاليمه الأساسية المجمع عليها، أما من يقول أنه مسلم ثم ينسف كل تعاليم القرآن بنقده أو يحرفها أو يناقضها فهو إما

(١) الإمام الشافعي وتأسيس الأيدولوجية الوسطية ص ١٤٦، النص، السلطة، الحقيقة ص ١٤٤، التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد ص١٠٤: ١٠٦ بتصرف واختصار، لمنى محمد بهي الدين الشافعي، ط: الأولى ١٤٢٩، ط: دار اليسر بالقاهرة.

متشكك أو منخلع عن ربقة الإسلام ويظهر الإسلام نفاقا.

إن النقد العلماني بمفهومه الحداثي والذي لا يعتد بالنص ولا بقائله، إنما يعتمد على التحريف والتقويل، مع ضرورة استبعاد ما وراء الطبيعة من غيبيات، فالنقد الحداثي أصلا مرتبط بالفلسفات المادية والإلحادية ويقوم على اعتقاد، وليس كما يزعم أصحابه ينطلق من حياد لأن الزندقة والإلحاد نوع من الاعتقاد السلبي الذي له دوره الخطير في توجيه عملية النقد [١].

ومن الرد أيضا:

- إذا كان القرآن من صياغة الواقع كما يدعون فيجب حينئذ أن يشابه منتجات الثقافة الأخرى، مثل الكتابة الأدبية الموجودة في عصر التنزيل وقبله، وكذا أحاديث النبي التي هي من صياغة الواقع، فهذا ما يقتضيه العقل، وذلك لم يحدث.
- أن ما كان من صياغة الواقع يجب أن يقف عند حدود علوم ومعارف العصر وأهله، ولا يتجاوز ذلك إلى الماضي أو المستقبل، لكن القرآن تجاوز الجميع وعمل على إصلاحه فأصلح ما فسد من بدع النصارى واليهود والوثنية.
- مما يدل عقلا أنه ليس من صياغة الواقع كما يدعون تناوله مهمات الأمور، ولاسيما إذا نزلت بعد طول انتظار مما يدل على أنه وحي وليس من كلام أحد مثل تحويل القبلة وحادث الإفك وسؤال الكفار عن أهل الكهف وغير ذلك من أحداث. [٢]
- كما أن الذين تحداهم بهذا القرآن قد أوتوا القدرة على الفصل بين الذي هو من كلام البشر، والذي هو ليس من كلامهم، [٣] ولم يسجل أي اعتراض على ذلك أنه من عند محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

---

(١) العلمانيون والقرآن الكريم للطعان ص ٧٦٥: ٧٦٧ بتصرف واختصار.

(٢) التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد ص ٢١٩.

(٣) مداخل إعجاز القرآن ص ١٦٢، ١٦٣.

- إذا كان القرآن تحداهم، لكنه وضح لهم أنه لم يقصد به الإتيان بمثله مطابقا لما فيه، بل يستطيعون افتراءه واختلاقه من كل معنى أو غرض مما يعتلج في نفوس البشر، لمَ لمْ يستطيعوا فعل ذلك، ولم لا تستطيعون أنتم أيها النقاد بعد التنوير والتعليم أن تأتوا بشيء من ذلك فيُغلق الحوار وتنتهي القضية؟!

- أنه قد ثبت يقينا قوة العرب البيانية، بل إنهم في هذا التوقيت قد بلغوا الذروة في ذلك، فما تبقى من أشعارهم وتراثهم، وعقدهم الأسواق للكلمة، مما ولَّد ملكة التذوق واللطف في البيان، ألا يجعل عندهم من الإدراك ما يميز الحاجز بين كلام البشر وغيره، بل ويطالبهم بالشهادة أن تالي ذلك هو نبي آخر الزمان - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

- إن القرآن الكريم – جل من أنزله – قد قرع العرب وسفه أحلامهم وأبطل معتقدهم، مما أخرج أقصى الضراوة في عداوتهم له، واستمر في تحديهم، ويبلغ الذروة في التحدي حين لا يجعل حكما بينه وبينهم إلا أنفسهم، مما يؤكد الثقة ولا يدع مجالا لشك أنه لا مجال للإتيان بمثله أو حتى قريبا منه، وفوق ذلك فيه من الإنصاف بينه وبينهم ما فيه.

المطلب الثاني
بعض صور التأثير النفسي وروحانية القرآن على البشر

قد عشنا سويا على مدى الصفحات السابقة كيف كان تأثير القرآن على النفس، وما يزيد هذا التأثير وما ينقصه، وهنا سنذكر إن شاء الله -عَزَّوَجَلَّ- بعض صور تأثير القرآن على النفس، مع الأخذ في الاعتبار أنه وإن كانت هذه الصور لبعض البشر فهي في المقابل بيان لما في هذه الآيات المذكورة من تأثير، ولا يفوتنا أن ملكات النفوس مختلفة، فواحد يتأثر بآيات الثواب والعقاب، وآخر بآيات الحدود والتشريعات، وآخر بالقصص القرآني، وآخر بالكلمات سواء الرقيقة أو القوية، لكن ما نجزم به أن القرآن استوعب جميع النفوس- كما سبق بيانه - فقد اقتضت حكمة الله -عَزَّوَجَلَّ- صلاحيته لكل زمان ومكان. وإذا نظرنا إلى القرآن منذ نزوله نجده قد أدهش العرب بأسراره، وأثر في النفوس الكافرة والمنافقة والمؤمنة حتى حار فيه من أنكره فوصفه مرة بالشعر وأخرى بالسحر وأخرى بالكهانة، كل ذلك مخافة تأثيره، ورغم ذلك أثّر أثرا لا يُستطاع إنكاره أبدا.

تأثير القرآن في أعدائه :

سبق الحديث مرارا عن هذا التأثير، وأنه هو الذى حملهم على صد النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- بالقوة عن تلاوة القرآن في البيت الحرام وفى أسواق الموسم ومجامعه، حتى إنهم كانوا يقذفونه بالحجارة، وهو سبب تواصيهم بعدم السماع له، كما سبق الحديث عن دور سيدنا مصعب في بداية الهجرة أول البحث، ومن أعظم مظاهر التأثير التي لا يستطيع أحد إغفالها ما حدث بعد صلح الحديبية سنة ست من الهجرة، إذ كان أهم شروط الصلح السماح للمؤمنين بمخالطة المشركين، وهو الذى كان سبب سماعهم للقرآن، ودخولهم بتأثيره في دين الله أفواجا. فكان انتشار الإسلام في أربع سنين بالسلم والأمان أضعاف انتشاره في ست عشرة سنة من أول الإسلام.[١] أما عن بعض صور التأثير فسألقي الضوء على بعضها، فقد ثبت أنه جذبهم إليه بقوته في مظاهر كثيرة، أذكر بعضها على سبيل التمثيل:

---

(١) الوحي المحمدي ص ١١٤.

- أخرج البخاري بسنده أَنَّ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، زَوْجَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حديثا طويلا لما خرج الصديق -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مهاجرا ولقيه ابن الدَّغِنَةِ وأجاره وقال له ارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلاَدِكَ، وَرَجَعَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، فَطَافَ فِي أَشْرَافِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلاَ يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يُكْسِبُ المَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَأَنْفَذَتْ قُرَيْشٌ جِوَارَ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَآمَنُوا أَبَا بَكْرٍ، وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ، فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ، وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلاَ يُؤْذِينَا بِذَلِكَ، وَلاَ يَسْتَعْلِنْ بِهِ، فَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَطَفِقَ أَبُو بَكْرٍ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلاَ يَسْتَعْلِنُ بِالصَّلاَةِ، وَلاَ القِرَاءَةِ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ وَبَرَزَ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَتَقَصَّفُ[1] عَلَيْهِ نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، يَعْجَبُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لاَ يَمْلِكُ دَمْعَهُ حِينَ يَقْرَأُ القُرْآنَ، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَإِنَّهُ جَاوَزَ ذَلِكَ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَأَعْلَنَ الصَّلاَةَ وَالقِرَاءَةَ، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، فَأْتِهِ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلاَنَ،....الخ الحديث.[2]

- أخرج البخاري بسنده عن جبير بن مطعم، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِي»[3] كما أخرج ابن ماجة بسنده عن جبير بن مطعم، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-"يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ" قَالَ جُبَيْرٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ: فَلَمَّا سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ "**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**"

---

(١) يتقصف: يزدحم، فالانقصاف التزاحم والتدافع. لسان العرب مادة " قَ صَ ف " .

(٢) صحيح البخاري، كِتَاب الحَوَالاَتِ، بَابُ جِوَارِ أَبِي بَكْرٍ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَقْدِهِ، ح رقم ٢١٧٥، ط: دار طوق النجاة ج٣ ص٩٨، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٣) صحيح البخاري كتاب المغازي، ح رقم ٤٠٢٣.

[الطور:٣٥] إِلَى قَوْلِهِ، "فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ" [الطور:٣٨] كَادَ قَلْبِي يَطِيرُ [(١)]

- أَخْرج البيهقي بسنده عن الزُّهْرِيُّ قَالَ: "حُدِّثْتُ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ، وَأَبَا سُفْيَانَ، وَالْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيقٍ، خَرَجُوا لَيْلَةً لِيَسْتَمِعُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فِي بَيْتِهِ وَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسًا لِيَسْتَمِعَ فِيهِ، وَكُلٌّ لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِ صَاحِبِهِ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحُوا وَطَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا فَجَمَعَتْهُمُ الطَّرِيقُ فَتَلَاوَمُوا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَعُودُوا فَلَوْ رَآكُمْ بَعْضُ سُفَهَائِكُمْ لَأَوْقَعْتُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا. ثُمَّ انْصَرَفُوا حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةُ عَادَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى مَجْلِسِهِ فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَتْهُمُ الطَّرِيقُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِثْلَ مَا قَالُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ. ثُمَّ انْصَرَفُوا فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةُ أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسَهُ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا فَجَمَعَتْهُمُ الطَّرِيقُ، فَقَالُوا: لَا نَبْرَحُ حَتَّى نَتَعَاهَدَ لَا نَعُودُ فَتَعَاهَدُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ أَخَذَ عَصَاهُ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ فِي بَيْتِهِ فَقَالَ أَخْبِرْنِي يَا أَبَا حَنْظَلَةَ عَنْ رَأْيِكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ فَقَالَ يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ وَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ أَشْيَاءَ أَعْرِفُهَا وَأَعْرِفُ مَا يُرَادُ بِهَا. فَقَالَ الْأَخْنَسُ وَأَنَا وَالَّذِي حَلَفْتُ بِهِ. ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى أَتَى أَبَا جَهْلٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ فَقَالَ يَا أَبَا الْحَكَمِ مَا رَأْيُكَ فِيمَا سَمِعْتَ من مُحَمَّدٍ فَقَالَ مَاذَا سَمِعْتَ؟ تَنَازَعْنَا نَحْنُ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ الشَّرَفَ، أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنَا وَحَمَلُوا فَحَمَلْنَا وَأَعْطَوْا فَأَعْطَيْنَا حَتَّى إِذَا تَجَاثَيْنَا عَلَى الرُّكَبِ وَكُنَّا كَفَرَسَيْ رِهَانٍ قالوا: منّا نبيّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ فَمَتَى نُدْرِكُ هَذِهِ، وَاللهِ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا وَلَا نُصَدِّقُهُ فَقَامَ عَنْهُ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ". [(٢)]

- ذَكَر ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عُثْمَانَ بنِ الحُوَيْرِثِ، عَنْ صَالِحِ بنِ كَيْسَانَ أَنَّ الطُّفَيْلَ بنَ عَمْرٍو قَالَ: كُنْتُ رَجُلاً شَاعِراً سَيِّداً فِي قَوْمِي فَقَدِمْتُ مَكَّةَ فَمَشَيْتُ إِلَى رِجَالاَتِ قُرَيْشٍ

(١) سنن ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب القراءة في صلاة المغرب ح رقم ٨٢٣، والحديث صححه الألباني.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ج٢ ص ٢٠٦، ٢٠٧، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى - ١٤٠٥ هـ والحديث ضعيف. تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، لعلوي بن عبد القادر السَّقَّاف ص١٤٣، ١٧٧ أثر رقم ٣٤٦، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط: الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م.

فَقَالُوا: إِنَّكَ امْرُؤٌ شَاعِرٌ سَيِّدٌ وَإِنَّا قَدْ خَشِيْنَا أَنْ يَلْقَاكَ هَذَا الرَّجُلُ فَيُصِيْبَكَ بِبَعْضِ حَدِيْثِهِ فَإِنَّمَا حَدِيْثُهُ كَالسِّحْرِ فَاحْذَرْهُ أَنْ يُدْخِلَ عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ مَا أَدْخَلَ عَلَيْنَا فَإِنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَ المَرْءِ وَأَخِيْهِ وَبَيْنَ المَرْءِ وَزَوْجَتِهِ وَبَيْنَ المَرْءِ وَابْنِهِ فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُحَدِّثُوْنِي شَأْنَهُ وَيَنْهَوْنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْهُ حَتَّى قُلْتُ: وَاللهِ لاَ أَدْخُلُ المَسْجِدَ إِلَّا وَأَنَا سَادٌّ أُذُنَيَّ قَالَ: فَعَمَدْتُ إِلَى أُذُنَيَّ فَحَشَوْتُهَا كُرْسُفاً[1] ثُمَّ غَدَوْتُ إِلَى المَسْجِدِ فَإِذَا بِرَسُوْلِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَائِماً فِي المَسْجِدِ فَقُمْتُ قَرِيْباً مِنْهُ وَأَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِه فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللهِ إِنَّ هَذَا لَلْعَجْزُ وَإِنِّي امْرُؤٌ ثَبْتٌ مَا تَخْفَى عَلَيَّ الأُمُوْرُ حَسَنُهَا وَقَبِيْحُهَا وَاللهِ لأَتَسَمَّعَنَّ مِنْهُ فَإِنْ كَانَ أَمْرُهُ رُشْداً أَخَذْتُ مِنْهُ وَإِلاَّ اجْتَنَبْتُهُ فَنَزَعْتُ الكُرْسُفَةَ فَلَمْ أَسْمَعْ قَطُّ كَلاَماً أَحْسَنَ مِنْ كَلاَمٍ يَتَكَلَّمُ بِهِ فَقُلْتُ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! مَا سَمِعْتُ كَاليَوْمِ لَفْظاً أَحْسَنَ وَلاَ أَجْمَلَ مِنْهُ فَلَمَّا انْصَرَفَ تَبِعْتُهُ فَدَخَلْتُ مَعَهُ بَيْتَهُ فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ قَوْمَكَ جَاؤُوْنِي فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالُوا وَقَدْ أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ أَسْمَعَنِي مِنْكَ مَا تَقُوْلُ وَقَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ حَقٌّ فَاعْرِضْ عَلَيَّ دِيْنَكَ، فَعَرَضَ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ فَأَسْلَمْتُ[2].

تأثير القرآن في نفوس من آمن به :

لقد وصف الله -عَزَّوَجَلَّ- فعل القرآن في المؤمنين بقوله: "**ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ**" [الزمر:٢٣]. وحقا لقد ربى الصحابة تربية غيرت كل ما كان بأنفسهم من مفاسد الجاهلية، وزكّتها تلك التزكية، وأحدث أعظم ثورة روحية اجتماعية في التاريخ.

ولقد عد الإمام الزرقاني[3] لتأثر من آمن بالقرآن الكريم أربعة مظاهر لا يمكن أن نغفلها، ولذا سأذكرها على وجه الاختصار:

---

(١) الكرسوف: الْقطع من الْقطن. الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) ج ٣ ص ٢٥٤، ت: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بلبنان، ط: الثانية، بدون.

(٢) الحديث ضعيف جدا: في إسناده محمد بن السائب الكلبي، متروك. وفيه أبو صالح باذام، مولى أم هانئ ضعيف مدلس، وقد عنعنه. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ج ٣ ص ٢٠٩، دار الحديث- القاهرة، ط: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٣) مناهل العرفان ج٢ ص ٤٠٩: ٤١١ بتصرف واختصار.

المظهر الأول: تنافسهم في حفظه والتفاضل في ذلك بينهم، وقراءته في الصلاة وفي غيرها وأن لهم في بيوتهم دوي كدوي النحل، بل كانت المرأة تغتبط أن يكون مهرها سورة يعلمها إياها زوجها من القرآن.

المظهر الثاني: عملهم به وتنفيذهم لتعاليمه في كل شؤونهم تاركين ما عداه بسخاء نفس وطيب روح، مما جعلهم مستقيمي العبادة طاهري العادة كريمي الخلق.

المظهر الثالث: استبسالهم في نشر القرآن والدفاع عنه، وكتب السيرة مليئة بالوقائع والأحداث كيف كان الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- ومن بعدهم يتهافتون على ذلك.

المظهر الرابع: النجاح الباهر الذي أحرزه القرآن في هداية العالم في كل نواحي الحياة بالمقارنة بين السابق واللاحق.

ومن صور المظاهر ما حدث مع سيدنا مصعب وسيدنا عبد الله بن أم مكتوم -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-لما ذهبا إلى المدينة في بداية الدعوة وقد نجح هذان في مهمتهما أكثر نجاح، وأحدثا في المدينة ثورة فكرية أو حركة تبشيرية جزع لها سعد بن معاذ سيد قبيلة الأوس، حتى قال لابن أخيه أسيد بن حضير ألا تذهب إلى هذين الرجلين اللذين أتيا يسفهان ضعفاءنا فتزجرهما، فلما انتهى إليهما أسيد قال لهما ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا ثم هددهما، وقال اعتزلا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة، رضي الله عن مصعب فقد تغاضى عن هذه التهديد وقال لأسيد في وقار المؤمن وثباته أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كففنا عنك ما تكره، ثم قرأ مصعب القرآن وأسيد يسمع، فما قام من مجلسه حتى أسلم ثم كر راجعا إلى سعد فقال له والله ما رأيت بالرجلين بأسا فغضب سعد وذهب هو نفسه ثائرا مهتاجا فاستقبله مصعب بما استقبل به أسيدا وانتهى الأمر بإسلامه أيضا، ثم كر راجعا فجمع قبيلته وقال لهم ما تعدونني فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا فقال سعد كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تسلموا فأسلموا أجمعين!.[1] وهذا يثبت كيف لما تأثر أتباعه كانوا سببا في إسلام

(١) الحديث بتمامه أخرجه البيهقي ت: ٤٥٨هـ في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج ٢ ص٤٤٠،٤٣٩، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى - ١٤٠٥ هـ، مناهل العرفان ج٢ ص ٤٠٩

قبائل بل وكانت هذه بداية تأسيس دولة على أناس يفتدون عقيدتهم بكل غال ونفيس.

ولا يزال هذا التأثير مستمرا:

وإن كانت هذه المظاهر وهي بعض من كل فإن التأثير لا يزال مستمرا، فقد ألفت في ذلك الكتب لوقائع حقيقية[١]، ومنها ما سرد د/ توفيق يوسف الواعي[٢] تحت عنوان "تأثير القرآن ممتد وباق" فيقول: ما زال تأثير هذا القرآن باق يعمل عمله في النفوس لأن معجزته باقية، ولفظه لم يتغير وعمله هو هو، وما زال محفوظا في الألواح والصدور، ولهذا نرى من سمع القرآن الآن أدرك تلك المعاني التي كان يسمعها ويدركها السابقون، ثم يسرد شهادات لبعض مفكري الغرب تقر بتأثير القرآن منها شهادة ك ك نريج أستاذ الأدب العربي بجامعة كمبردج في كتابه القيم "كيف تعرفت على القرآن" عن سحر القرآن في النفوس فيقول: " لدى تصفحي السريع للقرآن الكريم أدركت أنني أمام مضمار جديد في الأسلوب والجرس والهيمنة... فأصبحت أتلو القرآن فأجد في كل مرة نكهة خاصة لا يمكن إلا أن تكون سماوية، ثم تساءل هل كل من يقرا هذا السفر الجليل يشعر بمثل ما أشعر به أم ماذا؟ وتوجه بسؤاله إلى عشرات من المستشرقين المنصفين في أوروبا وأمريكا فكان الجواب كالآتي: نحس ونشعر بشيء غريب غير عادي وغير مادي ننجذب إليه بطريقة لا شعورية جذبا قويا، وقد زادت على ما مر سيدة إيطالية هي د/ واكجيالورا، البروفسورة بجامعة نابل بإيطاليا، فذكرت لي في رسالتها: "أنها تسمع لحنا إلهيا جذابا حنونا، لا يقارن بالفنون الموسيقية البشرية وألحانها في شيء، وقد يستمر الواحد منا أمام روعته الإلهية عدة دقائق، وتأخذه الجذبة بصفة غير عادية وبصورة روحانية لذيذة "وفي النهاية يقول كل الذين أعرفهم في أوروبا وأمريكا اعترفوا بشعورهم وإحساسهم الأغرب نحو القرآن ولاسيما عندما يعطي القرآن كل ذرة

بتصرف واختصار.

(١) من ذلك على سبيل المثال بالقرآن أسلم هؤلاء، لعبد العزيز سيد هاشم الغزولي، دار القلم بدمشق، الدار الشامية بيروت ط: أولى ١٤٢٢ -٢٠٠١.

(٢) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص ٦٥٢ وما بعدا بتصرف، د/ توفيق يوسف الواعي، ط: دار الوفاء بالمنصورة، ط: الأولى ١٤٠٨-١٩٨٨.

من كيانه فإذ ذاك يرى الإنسان العجب العجاب، ثم يقول لا أشك لحظة في إلاهية القرآن وهيمنته وإعجازه وسيطرته على الألباب. ويقول الأستاذ محمد حنيف الباحث بالموسوعة الفقهية بالكويت: إنه ذهب إلى لندن لإلقاء محاضرة في مسجد بها فوضع المكلفون بتنظيمها شريطا من القرآن في مكبر الصوت لجمع الناس وما أن قرئ القرآن وسمعه الناس حتى توافد جمع غفير جلسوا يستمعون القرآن كأن على رؤوسهم الطير، ولكن بمجرد أن أغلق المكبر استعدادا للمحاضرة أخذ الناس ينصرفون فتعجبت من ذلك وبعد الفراغ سألت إمام المسجد عن هذه الظاهرة، فقال: ما نكاد نفتح مكبر الصوت في أي وقت على القرآن الكريم حتى يتوافد الناس على المسجد ويجلسون خاشعين رغم أنهم لا يفقهون القرآن ولكن يأخذهم بسحره وروعة لفظه وموسيقاه، فإذا انتهت التلاوة قاموا كما جاءوا، فهذه روعة القرآن وقدسيته التي تنفذ إلى الأعماق وإن كان اللسان غير اللسان ولكن المتكلم هو الله والآيات آياته والخلق خلقه والعباد عباده واللغات تدبيره.

خاتمة

بعد هذا التطواف حول موضوع البحث، الذي تناولت فيه جملة من المسائل التي تتصل به، إثباتا لذلك، وإنكارا لمن أنكره والرد عليه، مستثمرا ذلك في خدمة كتاب الله -عَزَّوَجَلَّ-، وبعد هذا أستطيع أن أسجل جملة من النتائج وبعض الاقتراحات، أسأل الله أن ينفع بها كل خادم لكتابه -عَزَّوَجَلَّ- من باحث عن علم أو حقيقة، أو قارئ لعلوم هذا الكتاب الجليل.

أهم النتائج:

١- اتفق علماء الأمة العدول على وجود التأثير النفسي للقرآن ولم ينكره أحد منهم، وإن اختلفوا هل ذلك يتبع الإعجاز البياني أم أنه أمر متفرد له شأنه.

٢- التأثير القرآني موجود، حتى ولو كان للبعض دون الآخرين، فهو دليل على أن القرآن ليس من عند بشر، بل ويضع البشرية أمام هذه الحقيقة وجها لوجه، فإما إيمان وإما كفر وجحود.

٣- لن يقر بهذا الأثر إلا كل متجرد عن الهوى والعصبية لأي مشرب، متجرد للحق.

٤- هدف الحداثيين من إسقاط روحانية القرآن الكريم هو تغييب مرجعية العقل المسلم ووجدانه.

٥- روحانية القرآن الكريم عند الحداثيين قتل للموضوعية، ونوع من التدليس والتلاعب بالعقول، والخطاب القرآني عندهم يميل إلى تضخيم الأمور.

٦- الحرية عند الحداثيين تقتضي التحرر من الترغيب والترهيب والخوف والطاعة والموروث من المنقول.

٧- استيعاب القرآن بصياغته جميع القلوب والعقول في صور الخطاب والتراكيب والدلالات، فهو خطاب لجميع المستويات يأخذ كل على قدر فهمه واستيعابه، وكأنها قيست على قدر حاجته.

٨- التناغم الواضح والانسجام التام بين اللفظ والمعنى دليل على أن اللفظ والمعنى

من عند الله -عَزَّوَجَلَّ-.

٩- أن هذا الأمر سر من أسرار الله -عَزَّوَجَلَّ- في كتابه، فكم رأينا من أعجمي كان القرآن سببا في إسلامه، وقد يكون عربيا فيتفاعل مع بعض كلمات فتغير مسار حياته، أو بلاغيا أسرته العبارات وأوجه اللغة وما تحمل في طياتها من علوم منَّ الله بها، فرأى ما لم يره غيره.

١٠- إثبات وجود تأثير القرآن حتى قيام الساعة دون التقيد بزمان أو مكان أو لغة.

١١- حسن الاستعداد في سماع كتاب الله -عَزَّوَجَلَّ- يزيد من التأثر ويسرع في ثمرته، وحسن التعامل مع كتاب الله -عَزَّوَجَلَّ- يزيد من قوة الالتزام به والقيام بأمره ونهيه.

١٢- وجوب الحرص على معرفة الغريب من الكلمات حتى لا يساء فهم بعض الجمل والعبارات.

١٣- دور الجانب الروحي والنفسي في حل مشكلات الفرد والمجتمع.

أهم التوصيات:

١- الحرص الدائم على عقد ندوات تدريبية في بلاغة القرآن ولغته، وتبسيط الغريب من كلماته.

٢- محاولة إنجاز عمل يتناسب مع غير المتخصصين في هذا الشأن، يتسم بالبساطة والاختصار غير المخل بالمراد.

٣- ضرورة توجيه الباحثين إلى إعادة النظر فيما يتعلق بالموضوع، واستخراج نقاط بحث كثيرة يستلزمها هذا الموضوع، والاستفادة منها قدر الطاقة.

ثبت المراجع

- إتمام الأعلام، د. نزار أباظة، محمد رياض المالح، دار صادر، بيروت، ط: أولى ١٩٩٩.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ)، دار المعرفة، بيروت، بدون.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود ت: ٩٨٢هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.
- أصول البيان في فهم الخطاب القرآني وتأويله (أعمال الندوة الأولى لمركز ابن أبي الربيع السبتي للدراسات اللغوية والأدبية) كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتصوان، دار الإمام بالمغرب، ط: ١٤٣٧ -٢٠١٥.
- إعجاز القرآن، د/ فضل حسن عباس، سناء فضل عباس، ط: ١٩٩١.
- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار بالأردن، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
- إعجاز القرآن بين السيوطي والعلماء، محمد حسن عقيل موسى، دار الأندلس، جدة، ط: الثانية ١٤٢٢ -٢٠٠.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي ت: ١٣٥٦ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثامنة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- إعجاز القرآن، الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ)، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف مصر، ط: الخامسة، ١٩٩٧م.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ)، ت: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، بدون.
- الأثر النفسي للقرآن الكريم دراسة وتحليل، خليفة حسين العسال، الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الشريعة والقانون والدراسات الاسلامية بجامعة قطر.
- الأعلام، لخير الدين الزركلي (ت: ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.
- الإسلام والاخلاق والسياسة، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي بيروت – باريس، ط: أولى ١٩٩٠.
- الإعجاز التأثيري في القران، زياد عواد أبو حماد – كلية الشريعة قسم أصول الدين، جامعة مؤتة بالأردن، بحث منشور بمجلة دمشق، العدد الأول ٢٠٠٢، المجلد الثامن عشر.
- الإعجاز التأثيري في القرآن، عصام العبد زهد، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة،

فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الثاني ٢٠٠٣ م، المجلد الحادي عشر.

- الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم، خالد محمد القضاة، جامعة العلوم التطبيقية، كلية الآداب، قسم الشريعة الإسلامية، بحث مقدم إلى مؤتمر كلية الشريعة السابع " إعجاز القران الكريم "، جامعة الزرقاء الأهلية، ١٤٢٦ - ٢٠٠٥.

- الإعجاز القرآني، محمد عادل القلقيلي، دار الجيل، بيروت، ط: أولى ١٤١٧، ١٩٩٧.

- الإعجاز في دراسات السابقين دراسة كاشفة لخصائص البلاغة ومعاييرها، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ط: الأولى، ١٩٧٤.

- الإمام الشافعي وتأسيس الأيدلوجية الوسطية، نصر حامد أبو زيد، مكتبة مدبولي، ط: الثانية ١٩٩٦.

- البرهان العلمي للإسلام، نبيل عبد السلام هارون، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط: الثانية ١٤١٧-١٩٩٦.

- البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

- البلاغة وعلم النفس، أمين الخولي، مقال في مجلة كلية الآداب، المجلد الرابع، ج ٢ ديسمبر ١٩٣٦.

- البيان القرآني، محمد رجب البيومي، دار النصر للطباعة، القاهرة، ط: ١٣٩١ -١٩٧١.

- البيان في إعجاز القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار بالأردن، بدون.

- التراث والتجديد" موقفنا من التراث القديم " لحسن حنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط: الرابعة ١٤١٢-١٩٩٢.

- التعبير القرآني والدلالة النفسية، محمد عبد الله الجيوسي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط: الأولى ١٤٢٦ -٢٠٠٦ م.

- التعريفات، الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م.

- التوظيف الحداثي لآيات المرأة وإشكالياته "جمال البنا" نموذجا، كفاح كامل أبو هنود، دار الفاروق بالأردن، ط: الأولى ١٤٣٣ -٢٠١٢.

- التوقيف على مهمات التعاريف، لعبد الرؤوف المناوي (ت: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب –القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

- التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد، منى محمد بهي الدين الشافعي، دار اليسر بالقاهرة، ط: الأولى ١٤٢٩ هـ.

- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

- الجهود المبذولة في دراسة الاعجاز قديما وحديثا "دراسة إحصائية ونظرة تقويمية"، محمد عبد الله الجيوسي، قسم أصول الدين، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك، بحث مقدم لمؤتمر الاعجاز القرآني بجامعة الزرقاء الأهلية.

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي (ت: ٨٧٥ هـ)، ت: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى - ١٤١٨ هـ

- الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم دراسة نقدية، الجيلاني مفتاح، دار النهضة بدمشق، ط: الأولى ١٤٢٧- ٢٠٠٦.

- الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، توفيق يوسف الواعي، دار الوفاء بالمنصورة، ط: الأولى ١٤٠٨-١٩٨٨.

- الرسالة اللدنية، أبو حامد الغزالي، مطبعة كردستان العلمية، القاهرة، ط: ١٣٢٨ هـ

- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ)، دار الفيحاء – عمان، ط: الثانية - ١٤٠٧ هـ

- العلمانيون والقرآن الكريم "تاريخية النص"، أحمد ادريس الطعان، دار ابن حزم، السعودية، ط: الأولى ١٤٢٨ -٢٠٠٧.

- الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، ت: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بلبنان، ط: الثانية، بدون.

- الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء العربي، المغرب، ط: الثانية ١٩٩٦.

- القرآن الكريم الجمال التصويري بين اللفظ والمعنى، محمد قطب عبد العال، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، ذو الحجة ١٤٣١ هـ = نوفمبر ٢٠١٠م، العدد:١٢، السنة: ٣٤ الفكر الإسلامي.

- القرآن المجيد، محمد عزة دروزة، المكتبة العصرية، بيروت، بدون.

- القران من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب، لمحمد أركون، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة بيروت ط: الأولى ٢٠٠١.

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، ت: عدنان درويش - محمد المصري، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (ت: ٥٤٢ هـ)، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٢ هـ
- المحلى بالآثار، ابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦ هـ)، دار الفكر، بيروت، بدون.
- المختار من علوم القرآن "القرآن الكريم من التنزيل إلى التدوين والترتيل "، أبو الوفا أحمد عبد الآخر، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ط: الأولى ٢٠٠٢ -١٤٢٣.
- المعجزة الخالدة، د. حسن ضياء الدين عتر، دار البشاير الإسلامية، ط: الثالثة ١٤١٥-١٩٩٤.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ)، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط: الأولى - ١٤١٢ هـ
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، دمشق، ط: ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م.
- النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، طيب تيزيني، دار الينابيع، دمشق، ط: ١٩٩٧ م.
- النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: الأولى ١٤٣٠-٢٠٠٩.
- النص، السلطة، الحقيقة، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط: الأولى ١٩٩٥.
- النظم العددية المنعكسة وتركيب الحامض النووي، الصديق الحاج أبو ضفيرة، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، محرم ١٤٢٦-٢٠٠٥، بحث لمؤتمر إعجاز القرآن كلية الشريعة، جامعة الزرقاء الأهلية بالأردن ٢٠٠٥.
- الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ)، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى - ١٤١٨ هـ
- بالقرآن أسلم هؤلاء، لعبد العزيز سيد هاشم الغزولي، دار القلم بدمشق، الدار الشامية بيروت ط: أولى ١٤٢٢ -٢٠٠١.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى (ت: ٨١٧ هـ)، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، بدون.

- تاريخية الفكر العربي الإسلامي، لمحمد أركون، ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء المغرب، ط: الثانية ١٩٩٦.
- تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، لعلوي بن عبد القادر السَّقَّاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط: الثانية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"، محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤ هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٩٩٠ م.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، دار المعارف، مصر، ط: الثالثة، بدون.
- خطاب النفس في القرآن الكريم، حقيقته، أساليبه، مقاصده، وهي مذكرة لنيل درجة الماجستير في القرآن الكريم والدراسات الأدبية، إعداد موصدق خديجة، السنة الجامعية ٢٠٠٦-٢٠٠٧.
- دائرة معارف القرن العشرون، محمد فريد وجدي، دار الفكر، بيروت، بدون.
- دلائل النبوة، البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى - ١٤٠٥ هـ.
- روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي ت: ٧٩٥ هـ)، أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م.
- سنن ابن ماجه (ت: ٢٧٣ هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بدون.
- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ج ٣ ص ٢٠٩، دار الحديث- القاهرة، ط: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.
- ظاهرة إهدار السياق في الخطاب الحداثي دراسة تحليلية نقدية، سعد بن مقبل بن عيسى الحريري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٣٧-٢٠١٦.
- فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، الرسالة، لبنان، ط: الثانية ١٤٠٠/ ١٩٨٠.
- كتب الغريب وأثرها في فهم القرآن، بحث للدكتور راشد بن حمود بن راشد التغيان، كلية التربية بالزلفى، جامعة المجمعة بالسعودية.

- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي (ت: ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، ط: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- لغتنا والحياة، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، مصر، ط: الثانية، بدون.
- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، د/ محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط: الثالثة ١٤١٠-١٩٩٠.
- مباحث في إعجاز القرآن، أحمد جمال العمري، مكتبة الشباب، مصر، بدون.
- مداخل إلى إعجاز القرآن، محمد محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط: أولى ٢٠٠٢-١٤٢٣.
- مدخل إلى إعجاز القرآن للشرباتي، عميد كلية الشريعة بجامعة الخليل، بحث مقدم إلى جامعة الزرقاء الأهلية، مؤتمر كلية الشريعة السابع ٢٠٠٥.
- مسند السراج، أبو العباس السَّرَّاج (ت: ٣١٣ هـ)، ت: إرشاد الحق الأثري، دار إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد – باكستان، ط: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤ هـ)، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن الرازي، (ت: ٣٩٥ هـ)، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط: الأولى ٢٠١٤.
- من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله -D-، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط: الثالثة، بدون.
- نظرات من القرآن للشيخ محمد الغزالي، نهضة مصر، ط: السادسة ٢٠٠٥.
- نقد النص لعلي حرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط: الرابعة ٢٠٠٥.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، ت: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

List the references

-Ehyaa 'Uloum El-Den, Abu Hamid Al-Ghazali (d: 505 AH), Dar Al-Maarifa, Beirut, without.

-Ershad Al-'Akl Al-Salem Ela Mazaya Al-Kitab Al-Karem, Abu Al-Saud, T: 982 AH, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut, without.

-Osoul Al-Bayan Fi Fahm Al-Khitab Al-Quraani Wa Taaweluh (Proceedings of the first symposium of Ibn Abi al-Rabee' al-Sabti Center for Linguistic and Literary Studies), Faculty of Arts and Humanities in Tswan, Dar al-Imam in Morocco, P: 1437-2015.

-E'jaz Al-Qur'an, Prof. Fadl Hassan Abbas, Sanaa Fadl Abbas, p. 1991.

-E'jaz Al-Qur'an Al-Bayani Wa Dalaail Masdaruh Al-Qur'ani, Salah Abdel-Fattah Al-Khalidi, Dar Ammar, Jordan, P: First: 1420 A.H. - 2000 A.D.

-E'jaz Al-Qur'an bayn Al-Suyuti Wa Al-'Olamaa, Muhammad Hassan Aqil Musa, Dar Al-Andalus, Jeddah, P: the second 1422-200.

-E'jaz Al-Qur'an Wa Al-Balaghah Al-Nabawiya, Al-Rafi'i, P: 1356 A.H., Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, Edition: Eighth, 1425 A.H. - 2005 A.D.

-E'jaz Al-Qur'an, Al-Baqalani (d: 403 AH), Editing: Al-Sayyid Ahmed Saqr, Dar Al-Ma'arif, Egypt, Volume: Al-Khamisah, 1997 AD.

-Eghathat Al-Lahfah Min Masaid Al-Shitan, Ibn Al-Qayyim (D: 751 AH), Editing: Muhammad Hamid Al-Faqi, Al-Ma'arif Library, Riyadh, without.

-Al-Athar Al-Nafsi Lil-Qur'an Al-Karem, Derasa Wa Tahlil, Khalifa Hussein Al-Assal, Assistant Professor, Department of Call (Da'wah) and Islamic Culture, College of Islamic law (Sharia), Law and Islamic Studies, Qatar University.

-Al-Islam Wa Al-Akhlaq Wa Al-Siasa, Muhammad Arkoun, translated by Hashem Salih, National Development Center, Beirut - Paris, first edition, 1990.

-Al-E'jaz Al-Taathiri Fi Al-Qur'an, Ziyad Awad Abu Hammad - Faculty of Sharia, Department of Fundamentals of Religion, Mutah University, Jordan, research published in Damascus Magazine, first issue 2002, Edition: eighteen.

-Al-E'jaz Al-Taathiri Fi Al-Qur'an, Issam Al-Abd Zuhd, Faculty of Fundamentals of Religion, Islamic University of Gaza, Palestine, Islamic University Journal, Issue Two 2003 AD, Edition: Eleven.

--Al-E'jaz Al-Taathiri Lil-Qur'an Al-Karem, Khaled Muhammad Al-Qudah, University of Applied Sciences, Faculty of Arts, Department of Islamic Law,

a research presented to the Seventh Conference of the College of Sharia "E'jaz Al-Qur'an Al-Karem", Zarqa Private University, 1426-2005.

-Al-E'jaz Al-Qur'ani, Muhammad Adel Al-Qalqily, Dar Al-Jeel, Beirut, First Edition, 1417, 1997.

-Al-E'jaz Fi Derasat Al-Sabiqin: Derasa Kashifa Li-Khasaais Al-Balaghah Wa Ma'aierha, Abdul Karim Al-Khatib, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Edition: First, 1974.

-Al-Imam Al-Shafi'i Wa Taasis Al-Ideologyah Al-Wasatiyah, Nasr Hamid Abu Zaid, Madbouly Bookshop, Edition: the second 1996.

-Al-Burhan Al-'Elmi Lil-Islam, Nabil Abdel Salam Haroun, Publishing House of Universities, Cairo, Edition: the second 1417-1996.

-Al-Burhan Fi 'Uloum Al-Qur'an, Al-Zarkashi (D: 794 AH), Editing: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiyyah, First Edition, 1376 AH - 1957 AD.

-Al-Balaghah Wa 'Elm Al-Nafs, Amin Al-Khouli, an article in the Journal of the Faculty of Arts, Edition Four, Second Edition December 1936.

-Al-Bayan Al-Qur'ani, Muhammad Ragab Al-Bayoumi, Dar Al-Nasr for printing, Cairo, Edition: 1391-1971.

-Al-Bayan Fi Al-E'jaz Al-Qur'ani, Salah Abdel-Fattah Al-Khalidi, Dar Ammar, Jordan, without.

-Al-Turath Wa Al-Tajded, "Mawqifna Min Al-Turath Wa Al-Tajded," by Hassan Hanafi, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Edition: fourth, 1412-1992.

-Al-Ta'bir Al-Qur'ani Wa Al-Dalalah Al-Nafsiyah, Muhammad Abdullah Al-Jayousi, Dar Al-Ghouthani for Qur'anic Studies, Damascus, Edition: First 1426-2006 AD.

-Al-Ta'rifat, Al-Jurjani (d.: 816 AH), Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut, Edition: First 1403 AH-1983 AD.

-Al-Tawzef Al-Hadathi Li-Ayat Al-Mar'a Wa Eshkaliatuh, "Jamal Al-Banna" as a model, the struggle of Kamel Abu Hanoud, Dar Al-Farouk, Jordan, Edition: First 1433-2012.

-Al-Tawqief 'Ala Mohimat Al-Ta'rief, Zain al-Din Muhammad called Abdul Raouf al-Manawi (d: 1031 AH), The World of Books - Cairo, Edition: First, 1410 AH - 1990 AD.

-Al-Tayar Al-'Almani Al-Hadith Wa Mawqifuh Min Tafsir Al-Qur'an Al-Karem, 'Ard Wa Naqd, Mona Muhammad Bahi al-Din al-Shafi'i, Dar Al-Yusr in Cairo, Edition: First 1429 AH.

-Al-Jami’ LiAhkam Al-Qur’an, Abu Abdullah Al-Qurtubi (D: 671 AH), Editing: Ahmed Al-Bardouni and Ibrahim Atfayyesh, Egyptian Book House, Cairo, Edition: Second, 1384 AH - 1964 AD.

-Al-Juhud Al-Mabthola Fi Derasat Al-E’jaz Qadiman Wa Hadithan, "Derasa Ehsaaiya Wa Nazra Taqwimiyah", by Muhammad Abdullah al-Jayousi, Department of Fundamentals of Religion, Faculty of Sharia and Islamic Studies at Yarmouk University, a research presented to the Qur'anic Miracle Conference at Zarqa University.

-Al-Jawaher Al-Hesan Fi Tafsir Al-Qur’an, Al-Tha’alabi (D: 875 AH), Editing: Sheikh Muhammad Ali Moawad and Sheikh Adel Ahmed Abdel-Mawgoud, Dar Ehyaa Al-Turath Al-Arabi, Beirut, Edition: First - 1418 AH.

-Al-Hadathion Al-Arab Fi Al-‘Oqoud Al-Thalatha Al-Akhira Wa Al-Qur’an Al-Karem, Derasa Naqdiya, Al-Jilani Moftah, Dar Al-Nahda in Damascus, First Edition 1427-2006.

-Al-Hadara Al-Islamia Moqaranatan Bil-Hadara Al-Gharbiya, Tawfiq Yusuf Al-Wa’i, Dar Al-Wafa’ in Mansoura, First Edition 1408-1988.

-Al-Resalah Alladuniya, Abu Hamid Al-Ghazali, Kurdistan Scientific Press, Cairo, Edition: 1328 AH.

-Al-Roh Fi Al-Kalam ‘Ala Arwah Al-Amwat Wa Al-Ahyaa Bil-Dalaail Min Al-Kitab Wa Al-Sunnah, Ibn Qayyim al-Jawziyyah (D: 751 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiya, Beirut, without.

-Al-Shifa Bita’rif Huquq Al-Mustafa, by Judge Ayyad (D: 544 AH), Dar Al-Fayhaa - Amman, Edition: Al Thani - 1407 AH.

-Al-‘Almanioun Wa Al-Qur’an Al-Karem, “Tarikhiat Al-Nass” Ahmed Idris Al-Ta’an, Dar Ibn Hazm, Saudi Arabia, Edition: First 1428-2007.

-Al-Fa'iq Fi Gharib Al-Hadith Wa Al-Athar by al-Zamakhshari (D: 538 AH), Editing: Ali Muhammad al-Bajawi, Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Ma'rifah in Lebanon, Edition: the second, without.

-Al-Fikr Al-Islami, Qira’ah ‘Elmiyah, Muhammad Arkoun, translated by Hashem Salih, Center for Arab Development, Morocco, Edition: the second 1996.

-Al-Qur’an Al-Karem, Al-Jamal Al-Taswiri Bayn Al-Lafz Wa Al-Ma’na, Muhammad Qutb Abdel-Al, Al-Da’i Monthly Magazine issued by Dar Al-Ulum Deoband, Dhul-Hijjah 1431 AH = November 2010 AD, Issue: 12, Sunnah: 34 Islamic Thought.

-Al-Qur'an Al-Majed, Muhammad Azza Darwazah, Al-Asriyyah Library, Beirut, without.
-Al-Qur’an Min Al-Tafsir Al-Mawroth Ela Tahlil Al-Khitab, by Muhammad Arkoun, translated by Hashem Salih, Dar Al-Tali’ah, Beirut, first edition, 2001.
-Al-Kolyat Mo’jam Fi Al-Mustalahat Wa Al-Furuq Al-Lughawiyah, Ayoub bin Musa Al-Kafawi, Abu Al-Baqaa Al-Hanafi (D: 1094 AH), Editing: Adnan Darwish - Muhammad Al-Masry, Edition: Al-Risala Foundation – Beirut.
-Al-Moharir Al-Wajeez Fi Tafseer Al-Kitab Al-Aziz, Ibn Attia (D: 542 AH), Editing: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, edition: First - 1422 AH.
-Al-Mahalla Bil-Athar, Ibn Hazm Al-Andalusi (d.: 456 AH), Dar Al-Fikr, Beirut, without.
-Al-Mukhtar Min ‘Uloum Al-Qur’an, “Al-Qur’an Al-Karem Min Al-Tanzel Ela Al-Tadwen Wa Al-Tartel”, Abu Al-Wafa Ahmed Abdel-Akher, Al-Maktab Al-Masry Al-Hadith, Cairo, Edition: Al-Awla 2002-1423.
-Al-Mu'jam Al-Kabir, Al-Tabarani (D: 360 AH), Editing: Hamdi bin Abd Al-Majid Al-Salafi, Ibn Taymiyyah Library, Cairo, Edition: the second, D. T.
-Al-Mofradat Fi Gharib Al-Qur’an, Al-Raghib Al-Isfahani (D: 502 AH), Editing: Safwan Adnan Al-Dawudi, Dar Al-Qalam, Al-Dar Al-Shamiya - Damascus, Beirut, Edition: First - 1412 AH.
-Al-Nabaa Al-‘Azem: Nazarat Jadidah Fi Al-Qur’an Al-Karem, Muhammad Abdullah Daraz, Dar Al-Qalam, Damascus, Edition: 1426 AH - 2005 AD.
-Al-Nass Al-Qur’ani Amam Eshkaliat Al-Benya Wa Al-Qira’a, Tayeb Tizini, Dar Al-Yanabe’, Damascus, Edition: 1997 AD.
-Al-Nass Wa Al-Khitab Qira’ah Fi ‘Uloum Al-Qur’an, Muhammad Abd al-Basit Eid, Library of Arts, Cairo, Edition: First 1430-2009.
-Al-Nass, Al-Sulta, Al-Haqiqa, Al-Fikr Al-Dini Bayn Eradat Al-Ma’rifah Wa Eradat Al-Haimana , Nasr Hamid Abu Zayd, The Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, Edition: First 1995.
-Al-Nozm Al-‘Idadiyah Al-Mon’akisa Wa Tarkib Al-Himd Al-Nawawi, Al-Siddiq Al-Hajj Abu Dhafira, University of Khartoum, Faculty of Arts, Muharram 1426-2005, research paper for the Miracle of the Qur’an Conference, Faculty of Sharia, Zarqa Private University, Jordan 2005.
-Al-Wahi Al-Mohamadi, Muhammad Rashid Reda, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Edition: First, 1426 A.H. - 2005 A.D.

-Anwar Al-Tanzel Wa Asrar Al-Ta'wel, Al-Baydawi (D: 685 AH), Editing: Muhammad Abd al-Rahman Al-Maraashli, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut, Edition: First - 1418 AH.
-Basaair Thawi Al-Tamiez Fi Lataaif Al-Kitab Al-'Aziz, Al-Fayrouzabadi (D: 817 AH), Editing: Muhammad Ali Al-Najjar, The Supreme Council for Islamic Affairs, Committee for the Revival of Islamic Heritage, Cairo, without.
-Tarikhiat Al-Fikr Al-Arabi Al-Islami, by Muhammad Arkoun, translated by Hashem Salih, The Arab Cultural Center in Casablanca, Morocco, Edition: Second, 1996.
-Tafsir Al-Qur'an Al-Hakim, "Tafsir Al-Manar," Muhammad Rashid Reda (died: 1354 AH), the Egyptian General Book Authority, Edition: 1990 AD.
-Tafsir Al-Qur'an Al-'Azem by Ibn Katheer (D: 774 AH), Editing: Sami bin Muhammad Salama, Dar Taibah for Publishing and Distribution, Edition: Second 1420 AH - 1999 AD.
-Thalath Rasaail Fi E'jaz Al-Qur'an by Al-Ramani, Al-Khattabi, and Abd Al-Qaher Al-Jurjani, Dar Al-Ma'arif, Egypt, Edition: the third, without.
-Khitab Al-Nafs Fi Al-Qur'an Al-Karem Haqiqatuh, Asalibuh, Maqasiduh, which is a memo for obtaining a master's degree in the Holy Qur'an and literary studies, prepared by Khadijah Mo'sadeq, academic year 2006-2007.
-Daairat Ma'arif Al-Qarn Al-'Eshrin, Muhammad Farid Wagdi, Dar Al-Fikr, Beirut, without.
-Dalaail Al-Nobowah, Al-Bayhaqi (D: 458 AH), Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut, Edition: Al-Awla - 1405 AH.
-Rawaai' Al-Tafsir (Al-Jami' Li-Tafsir Al-Imam Ibn Rajab Al-Hanbali, D.: 795 AH), Abu Moaz Tariq bin Awad Allah bin Muhammad, Dar Al-Asima, Saudi Arabia, Edition: First 1422-2001 AD.
-Siar A'lam Al-Nobalaa, by Shams al-Din al-Dhahabi (D: 748 AH), Edition 3, p. 209, Dar al-Hadith - Cairo, Edition: 1427 AH - 2006 AD.
-Sahih Al-Bukhari, Dar Touq Al-Najat, First Edition, 1422 AH.
-Sahih Muslim, T: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, Dar Ehyaa Al-Turath Al-Arabi, Beirut, without.
-Zahirat Ehdar Al-Siyaq Fi Al-Khitab Al-Hadathi, Derasa Tahlilia Naqdiyah, Saad bin Muqbil bin Isa Al-Hariri, Al-Taseel Center for Studies and Research, Saudi Arabia, vol.: Al-Awwal, 14237-2016.

-Fikrat E'jaz Al-Qur'an Min Al-Bi'thah Al-Nabawiah Ela 'Asrina Al-Hadir, Naim Al-Homsi, Al-Risala, Lebanon, Edition: the second 1400/1980.
-Kutub Al-Gharib Wa Atharuha Fi Fahm Al-Qur'an, a research by Professor. Rashid bin Hammoud bin Rashid Al-Taghyan, College of Education in Zulfi, Majmaah University, Saudi Arabia.
-Lisan Al-Arab, Ibn Manzoor Al-Afriqi (D: 711 AH), Dar Sader, Beirut, Edition: third - 1414 AH.
-Lughatna Wa Al-Hayah, Aisha Abdel-Rahman, Dar Al-Maarif, Egypt, Edition: second, without.
-Mabahith Fi E'jaz Al-Qur'an, Ahmed Jamal Al-Omari, Youth Library, Egypt, without.
-Madkhal Ela E'jaz Al-Qur'an by Al-Sharbati, Dean of the Faculty of Sharia at Hebron University, a research presented to Zarqa Private University, the Seventh Sharia Faculty Conference 2005.
-Musnad Al-Sarraj, Abu Al-Abbas Al-Sarraj (D: 313 AH), Editing: Irshad Al-Haq Al-Athari, Dar Archaeological Sciences Department, Faisalabad - Pakistan, Edition: 1423 AH - 2002 AD.
-Mo'jam Al-Lughah Al-'Arabiyah Al-Mo'asirah, Ahmed Mukhtar Abdul Hamid Omar (D: 1424 AH), The World of Books, First Edition, 1429 AH - 2008 AD.
-Mo'jam Maqaies Al-Lughah, Ahmed bin Faris bin Al-Razi, (D: 395 AH), Editing: Abd al-Salam Haroun, Dar Al-Fikr, 1399 AH - 1979 AD.
-Mafhom Al-Nass Derasa Fi 'Uloum Al-Qur'an, Nasr Hamed Abu Zaid, The Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, First Edition, 2014.
-Min Rawaai' Al-Qur'an Taamulat 'Elmiyah Wa Adabiyah Fi Kitab Allah, Muhammad Saeed Ramadan Al-Bouti, Al-Risala Foundation - Beirut, Edition: 1420 AH - 1999 AD.
-Manahil Al-Irfan Fi 'Uloum Al-Qur'an, Al-Zarqani (D: 1367 AH), Isa al-Babi al-Halabi Press, Edition: Third, Without.
-Nazarat Min Al-Qur'an by Sheikh Muhammad Al-Ghazali, Nahdat Misr, Edition: Sixth, 2005.
-Naqd Al-Nass by Ali Harb, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, Edition: Fourth, 2005.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع **الصفحة**

المقدمة ١٨٥
المبحث الأول: التأثير النفسي للقرآن الكريم وأسراره ١٩٠
التمهيد: فيه بيان مفردات العنوان ١٩٠
المطلب الأول: القرآن والنفس البشرية ١٩٨
المطلب الثاني: التأثير النفسي والإعجاز ٢٠١
المطلب الثالث: البحث عن سر التأثير النفسي للقرآن الكريم ٢١٣
المطلب الرابع: فوائد التأثير النفسي للقرآن ٢١٨
المطلب الخامس: أسباب ضعف التأثر عند البعض أو عدمه ٢٢٣
المطلب السادس: عوامل تزيد من الأثر النفسي للقرآن الكريم ٢٢٧
المبحث الثاني: مظاهر التأثير النفسي للقرآن الكريم بين النفي والإثبات ٢٣٠
المطلب الأول: العلمانيون والحداثيون وروحانية القرآن الكريم ٢٣٠
المطلب الثاني: بعض صور التأثير النفسي وروحانية القرآن على البشر ٢٤١
الخاتمة ٢٤٨
ثبت المراجع ٢٥٠
فهرس الموضوعات ٢٦٢